

المشكلات اللغوية

المشكلات اللغوية مصطلح عام لاضطرابات وأمراض وعيوب تعوق الوظائف اللغوية فهماً واستعمالاً. ويعبر عن هذه المشكلات في المصادر اللغوية النفسية بعبارات أخرى، منها: اضطرابات اللغة language disorders، وعيوب النطق articulation disorders، وأمراض الكلام، واضطرابات الكلام speech disorders، ونحو ذلك.

أولاً: المشكلات اللغوية الناتجة عن إصابات الدماغ:

إن معظم الاضطرابات اللغوية وأشدّها خطورة وأصعبها علاجاً تلك التي تحدث نتيجة أمراض أو إصابات في مراكز اللغة ووظائفها في الدماغ، سواء أكانت هذه الاضطرابات بسبب أورام نامية في أنسجة الدماغ، أم حدثت نتيجة صدمة أو جرح في رأس المريض أو وجهه؛ فسببت خللاً في مناطق اللغة في دماغه^(١).

وأكثر هذه الأمراض شيوعاً، وأشدّها تأثيراً على اللغة، هو مرض السكتة الدماغية stroke، الذي يحدث نتيجة تمزق في العروق؛ يمنع تدفق الدم إلى لدماغ. ويطلق على الاضطرابات اللغوية التي سببها إصابات الدماغ حبة لغوية أو أفازيا aphasia، وهي كلمة يونانية الأصل، أصبحت مصطلحاً عاماً لأنواع مختلفة من الاضطرابات اللغوية التي تحدث نتيجة إصابة في لدماغ.

وقد قسمت الحبسة إلى أنواع، هي: الحبسة الحركية، والحبسة الحسية، وعسر القراءة، وعسر الكتابة، وغيرها مما سوف أتحدث عنه في الفقرات التالية:

١- الحبسة الحركية **Motor Aphasia**:

وهي **حبسة الكلام**، أو الحبسة اللفظية verbal aphasia، المعروفة **بحبسة بروكا**؛ نسبة إلى الإصابة التي تحدث لمنطقة بروكا في الدماغ. وقد ذكرت في الفصل السابق أن هذه التسمية نسبة إلى الجراح الفرنسي بول بروكا Paul Broca (١٨٢٤م-١٨٨٠م) الذي اكتشفها عام ١٨٦١م،

وعندما تصاب هذه المنطقة بضرر، ويحدث للمصاب حبسة كلامية؛ يفقد القدرة على التعبير الكلامي الحركي دون الفهم؛ وذلك لقربها من مراكز الحركة لأعضاء جهاز الكلام كاللسان والحنجرة والفك. والمصاب بهذه الحبسة يكون كلامه قليلاً وبطيئاً، كما يكون صعباً ومكسراً، لا تحكمه قواعد سليمة، ولا تربط بين كلماته روابط نحوية من حروف عطف أو جر أو استفهام أو أسماء إشارة أو أسماء موصولة ... بل ينطق كلمات متقطعة معظمها كلمات محتوى مثل: رجل، امرأة، طفل، ماء، نافذة، وجه، رأس، خبزة، خزانة. أما الكلمات الوظيفية فنادرة جداً، وغالباً ما تكون محصورة في أداة الإثبات (نعم) وأداة النفي (لا) ^(١).

٢- الحبسة الحسية Sensory Aphasia:

وهي الحبسة المعروفة بحبسة فرنيكي Wernicke's Area؛ نسبة إلى منطقة في الدماغ اكتشفها عالم الأعصاب الألماني كارل فرنيكي Carl Wernicke (١٨٤٨م-١٩٠٥م) عندما تنبه عام ١٨٧٤م إلى أن ثمة نوعاً من الحبسة الكلامية تبدو أعراضها في ضعف مفاجئ في اللغة يحدث نتيجة الإصابة بمنطقة معينة في الدماغ، لكنها تختلف عن الحبسة الحركية التي تحدث عنها سلفه بول بروكا؛ لهذا سميت هذه المنطقة باسمه (فرنيكي).

وقد توصل فرنيكي من خلال عدد من البحوث التشريحية التي أجراها على مرضاه عام ١٨٧٤م إلى وجود مركز سمعي كلامي في الفص الصدغي من الدماغ، وافترض حدوث تلف في هذا الجزء من الدماغ أدى إلى تلف الخلايا العصبية التي تساعد على تكوين الصور السمعية للكلمات والأصوات. ولاحظ أن تلف هذه المنطقة ينتج عنه ما يعرف بالصمم الكلامي أو صمم المفردات Word deafness، مع الاحتفاظ بحاسة السمع^(٢).

وتظهر أعراض الحبسة الحسية، أو حبسة فرنيكي، من خلال كلام لا معنى له أو كلام لا علاقة له بسياق الحديث، بالرغم من أنه قد يبدو سليماً من الناحية التركيبية؛ أي إن المصاب بها يتحدث بكلام صحيح القواعد لكنه غير ذي معنى؛ كأن يقول مثلاً: نامت السيارة فوق الشجرة، أو شرب الحجر الجدار^(١). وربما تكلم بكلام لا يناسب المقام أو لا علاقة له بموضوع الحديث؛ فعندما يسأل المصاب عن موضوع ما يجيب بكلام يوحي للسامع أنه لم يفهم السؤال أو أنه لم يسمعه بالكلية^(٢)؛ فقد يسأل عن عمله مثلاً فيجيب بقوله: أخبرني أنه سوف يأتي هناك! أو يقول مثلاً: كان أخي في المحل التجاري كل شيء في السطح يقرأ...

ومن أعراض هذه الحبسة أيضاً نطق كلمات لا معنى لها^(٣)، مثل: سهرب، قصير، رحير، صرب...، أو تبديل بعض الأصوات المتشابهة نحو كلب وقلب، أو اللجوء إلى القلب المكاني أو عكس الكلمات نحو: قرب وبرق، ولعب وبلع^(٤).

٣- حبسة النسيان Amnestic Aphasia:

وهي نوع من أنواع الحبسة الحسية أو درجة من درجاتها، يكون المصاب بها غير قادر على تسمية الأشياء التي تقع في مجال إدراكه؛ ولهذا أطلق عليها أحياناً حبسة نسيان الأسماء anomic aphasia، لكنه في الوقت نفسه لا يخطئ في بناء التراكيب، وإنما يتكلم بكلام خال من الأخطاء النحوية والصرفية^(٣).

وتظهر أعراض هذه الحبسة في صعوبة إيجادها المريض في نطق أسماء الأشياء التي يتطلبها سياق الحديث أو التي يُطلب منه تسميتها، وربما لاذ بالصمت عندما يتعذر عليه إيجاد اسم مناسب للشيء موضوع الحديث^(٤).

٤- الحبسة الصوتية/التفكك الصوتي Phonetic Disintegration:

منطقة بروكا مسؤولة عن تخزين الكلام وتنظيمه؛ لهذا فإن المصاب بحبسة بروكا (الحبسة الحركية) يقع في أخطاء صوتية أكثر من الأخطاء التي يقع فيها المصاب بحبسة فرنيكي (الحبسة الحسية)^(٤). وقد لوحظ هذا من نتائج عدد من الدراسات؛ ففي دراسة أجريت على عدد من الذين يعانون من اضطرابات في اللغة، لوحظ أن أخطاء المصابين بحبسة بروكا في نطق الأصوات الصامتة أكثر من أخطائهم في الأصوات الصائتة،

وقد لوحظ أن الاختلاف بين هذين النوعين من الحبسة، حبسة بروكا وحبسة فرنيك فيما يتعلق بالأصوات، ليس اختلافاً كمياً وحسب، وإنما هو اختلاف كفي أيضاً، أي اختلاف في نوعية الأخطاء الصوتية التي يقع فيها المريض. ففي قراءة الكلمات قراءة جهرية، يقع المصاب بحبسة بروكا في أخطاء صوتية فوناتيكية، أي غير وظيفية، يصعب تصنيفها فونيمياً، كنطق

صوت اللثوي الأسناني في اللغة الإنجليزية بين صوتي /t/ و /d/ بحيث يصعب تصنيفه في واحد منهما^(١).

أما الأخطاء التي يقع فيها المصاب بحبسة فرنيكي فهي أخطاء فونيمية وظيفية؛ حيث ينطق المصاب الصوت البديل نطقاً سليماً؛ فينطق صوت السين في كلمة (سيف) نطقاً سليماً، لكنه لم يقصد كلمة سيف، وإنما قصد كلمة (صيف)، فلم يستطع نطق الصاد فأبدلها سينا واضحة لا لبس فيها^(٢).

وإن الضعف في تمييز الفونيم يقود إلى النقص في فهم المسموع أو يكون ناتجاً عنه؛ فقد أثبتت دراسة أجريت على أربعة عشر شخصاً مصابين بضعف في تمييز الفونيمات، أن لديهم ضعفاً في فهم المسموع أيضاً، وبعد أن شفوا من الضعف في تمييز الفونيمات تحسنت قدراتهم في فهم المسموع^(٣).

٦- الحبسة النحوية Agrammatism:

تؤدي الإصابة بحبسة بروكا إلى حدوث عجمة نحوية، أو تفكك في التراكيب، تتمثل في إنتاج كلام مختزل يشبه رطانة الأجنبي pidgin language؛ يحوي كلمات محتوى متناثرة، ويخلو من الكلمات الوظيفية والمورفيمات والأدوات النحوية التي تربط بين الكلمات وتنظمها^(٣). وقد أطلق على هذه الظاهرة مصطلح تفكك التراكيب النحوية الصرفية morphosyntactic impairment^(١).

٨- الحبسة الكلية Global Aphasia:

تعد الحبسة الكلية أو العامة من الحالات النادرة، وهي أشد أنواع الحبسة؛ حيث يعاني المصاب بها من أعراض متعددة تمثل عدداً من أنواع الحبسة؛ كالحبسة الحركية، والحبسة الحسية، وحبسة النسيان، والعجز في التعبير الكتابي؛ أي أن المصاب بالحبسة الكلية يفقد معظم الوظائف اللغوية.

وتحدث الحبسة الكلية نتيجة تلف معظم مناطق اللغة ومراكزها في الجانب الأيسر من الدماغ، وتلف الأعصاب الموصلة بين هذه المناطق؛ بسبب إصابة الدماغ بجلطة دموية cerebral embolism تؤدي إلى انسداد الشرايين والأوعية الدموية التي تغذي المخ. وقد لوحظ أن مريضة بالحبسة الكاملة نتيجة إصابتها بجلطة في الدماغ كانت لا تنطق سوى أربعة ألفاظ لا معنى لها (في لغتها) ترددها في كل مناسبة، نحو: ga, dak, la, doh. وقد تحدث هذه الحبسة نتيجة الإصابة بنزيف في المخ cerebral haemorrhage؛ فينتج عنه سيلان الدماء، وحرمان المنطقة المصابة بكفايتها من الدم.

ثانياً: المشكلات اللغوية العامة:

ثمة عدد من المشكلات اللغوية التي لا تنحصر أسبابها في إصابات مراكز اللغة ووظائفها في الدماغ، وإنما تعود إلى أسباب متنوعة؛ بعضها وراثي، وبعضها بسبب أمراض في أثناء الحمل، أو بسبب تخلف عقلي، وبعضها بسبب عيوب في أعضاء النطق ومخارج الأصوات، وسوف أتحدث عن عدد منها في الفقرات التالية باختصار.

١- تأخر لغة الطفل:

تأخر لغة الطفل عن لغة أترابه؛ إما لتخلف عقلي ونقص في قدراته الذهنية، أو لأسباب اجتماعية أسرية. فالتأخر الناتج عن تخلف عقلي يشمل فئات منها: ضعاف العقول، والبلهاء، والمعتوهين. وهذه المشكلة تحدث للطفل إما لأسباب وراثية عائلية، أو لأسباب بيئية صحية تصيب الطفل في بطن أمه أو بعد ولادته.

ويظهر التأخر اللغوي عند هؤلاء المتخلفين عقلياً في صور عديدة، منها قلة مفردات الطفل اللغوية، وإصداره أصواتاً لا معنى لها بغرض التفاهم مع من حوله، وربما يلجأ إلى التعبير عن نفسه بإشارات اليدين وإيماءات الرأس، فيبدو كأنه أصم أبكم. ويلجأ كثير من هؤلاء إلى استعمال رطانة أو لغة خاصة به في أصواتها ومفرداتها التي لا تحمل دلالات لغوية معروفة. أما الفهم والاستيعاب عند هؤلاء فضعيف جداً، إضافة إلى عدم قدرتهم على الانتباه والفهم. لذا فإنهم لا يستطيعون متابعة الدروس في المدرسة، ويمارسون أنشطة وحركات بدنية غير عادية تزعج أساتذتهم وزملاءهم^(١).

أما التأخر اللغوي الناتج عن أسباب اجتماعية أسرية، خاصة أولئك الأطفال الذي حرّموا من عطف الوالدين أو أحدهما، فتأخر لغتهم عن الأطفال الأسوياء في مرحلة الطفولة المبكرة (٢-٥ سنوات). وتظهر هذه المشكلة في عدد المفردات، والتخجل من الكلام أمام الآخرين، والتلعثم، والأخطاء في بعض الأصوات، واستعمال الإشارات والإيماءات للتعبير عن الأفكار والمشاعر. ولأن هؤلاء لا يعانون من تخلف عقلي، فإن لغتهم يمكن أن تنمو وتحسن بالتدريب والعلاج والاندماج مع أفراد المجتمع، وتصبح لغة طبيعية، خلافاً للغة الفئة الأولى^(١).

٢- تخلف لغة الطفل لأسباب سمعية:

ويقصد بهذه المشكلة ضعف السمع، وهو ما يعانيه بعض الأطفال من ضعف أو ثقل في السمع لا يصل إلى درجة الصمم. وهؤلاء يستجيبون للكلام المسموع استجابة تدل على إدراكهم لما يجري حولهم إذا كان الصوت في حدود قدراتهم السمعية. والفرق بين ضعيف السمع والأصم أن الأول يعاني من نقص في قدراته السمعية لكنه قادر على اكتساب اللغة الطبيعية مع نقص في بعض جوانبها، أما الثاني فإنه غير قادر على اكتسابها بالطريقة العادية.

ولأن الحديث هنا عن المشكلات اللغوية التي سببها ضعف السمع لا الصمم الكامل، فإنني أكتفي بالإشارة إلى أن ضعف السمع ينتج عنه استقبال دخل لغوي ناقص من حيث الأصوات والمفردات والتراكيب والدلالات. فضعيف السمع لا يسمع جميع أصوات الكلمة التي يتلقاها؛ فقد تصل الكلمة

إلى سمعه ناقصة قد فقدت جزءاً من أصواتها، وربما لا يسمع بعض كلمات الجملة، وبخاصة الكلمات الوظيفية القصيرة وبعض الضمائر. ولا شك في أن النقص في الدخّل يسبب نقصاً في بنية اللغة المكتسبة، وتزداد المشكلة سوءاً إذا نطق بعض الكلمات أو الجمل نطقاً خاطئاً أو ناقصاً ولم تصوب أخطاؤه في حينها؛ فتثبت التراكيب الخاطئة، وتصبح أمراً مألوفاً وجزءاً من لغته.

٣- عيوب نطقية فسيولوجية:

وهي مجموعة من عيوب النطق والكلام التي ترجع إلى أسباب عضوية؛ من تلف أو عيب أو تشوه في عضو من أعضاء النطق. ومن أهم هذه العيوب الخنخنة والثآثأة:

أ- الخنخنة Rhinolalia:

وهي نوع من النطق يصعب على المصاب بها نطق الأصوات أو ينطقها نطقاً غير واضح، وبخاصة الأصوات الصامتة؛ إذ تخرج معظم هذه الأصوات من الأنف بغنة شديدة تشبه صوتي الميم والنون، يقال: خنخن فلان إذا أخرج الكلام من أنفه^(١) وتسمى الخنف أو الخمخمة^(٢)، ويبدو أن هذه التسميات أسماء غير فصيحة.

وتحدث الخنخنة نتيجة فجوة في سقف الحنك تحدث للجنين في بطن أمه، وقد تشمل الجزء الرخو والجزء الصلب من الحنك، وربما تصل إلى الشفاه، وذلك حين يتعرض الجنين إلى أمراض تحدث قصوراً في نضج أنسجة الفم، فيولد ولماً تلتئم بعد^(٣)، فلا يستطيع حينئذ التحكم في ممرات الهواء بين فمه وأنفه^(٤).

وتصنف الخنخنة بحسب أسبابها إلى نوعين: خنخنة اتساعية، وهي ما كان سببها اتساع فتحة الأنف، وخنخنة انغلاقية، وهي ما كان سببها ضيق فتحة الأنف^(١).

ب- الثأثة أو اللثغة Lisping:

وهي مشكلة صوتية تتمثل في إبدال بعض الأصوات إلى أصوات أخرى أو تحريف في نطقها. من ذلك نطق الأصوات الصفيرية التي مخرجها بين الأسنان نطقاً غير صفيري، كالسين التي تنطق ثاء، والزاي التي تنطق ذالاً، حيث يبرز اللسان إلى الأمام ويظهر بين الأسنان خارج الفم عند النطق بهما، وقد تنطق السين شيئاً أو دالاً^(٢).

ويستعمل الباحثون في مشكلات النطق مصطلحي (الثأثة) و(اللثغة) للدلالة على داء واحد، وهو ما يعرف بـ lisp، غير أن بينهما فروقاً واضحة في اللغة العربية. فالثأثة تدل على نطق الأصوات الصفيرية نطقاً غير صفيري، أما اللثغة فهي إبدال الرء لأمأ، وربما يدخل فيها إبدال الجيم دالاً، ونحو ذلك، وهي ظاهرة معروفة في التراث اللغوي العربي^(٣). وقد وضعت المصطلحين هنا تحت مسمى واحد؛ مسaire للمصادر اللغوية النفسية الحديثة، ونظراً إلى تشابه أسباب حدوثهما.

وتحدث الثأثة في مرحلة الطفولة المبكرة، وبخاصة بين الخامسة والسادسة من العمر، وهي مرحلة إبدال الأسنان. وربما تستمر بعد هذه المرحلة إذا لم

يتحسن شكل الأسنان، ولم تنتظم من حيث الحجم والقرب والبعد، وربما تحدث لأسباب وظيفية أو اجتماعية أو نفسية، وقد تصبح عادة نطقية يصعب علاجها^(١).

٤ - عيوب نطقية نفسية:

وهي العيوب التي تحدث لأسباب نفسية فتؤثر في نطق الكلمات وتركيب الجمل، ويجمع هذه العيوب التأتأة أو التلعثم في الكلام. ويختلف الباحثون في التسمية العربية لهذه المشكلة المعروف بـ: Stuttering؛ فيطلقون عليها مصطلحات مختلفة منها: التهتهة^(٢) والتأتأة^(٣) والفأفة^(٤) والرثة^(٥) واللججة^(٦) والجلجة^(٧) إضافة إلى التلعثم.

ويختلف الباحثون أيضاً في تعريف هذه المشكلة؛ لاختلافهم في أسباب حدوثها. لكن يمكن وصف التلعثم بأنه مرض يصيب الطلاقة اللغوية، ويعيق انسياب الكلام؛ فهو نوع من التردد واضطراب الكلام، حيث يردد المصاب به حرفاً أو مقطعاً، أو يمد الصوت أو المقطع مدّاً زائداً عن العادة، مع صعوبة في تجاوز هذا المقطع إلى المقطع التالي له^(١).

ويمر التلعثم بثلاث مراحل كل واحدة منها أصعب من سابقتها: فالأولى منها تسمى المرحلة التوترية clonic، وفيها يعاني المريض من صعوبة في النطق والتعبير عما في نفسه. والثانية تسمى المرحلة التشنجية الاهتزازية clonic spasm أو مرحلة الاهتزازات clono tonic، وفيها يجد المريض صعوبة في النطق في بداية الكلام، وبخاصة نطق الكلمة الأولى مع إعادة لأجزاء الكلام وتوتر وارتعاش^(٢). أما الثالثة فتسمى مرحلة اعتقال اللسان stammering،

وفيهما يتوقف المريض عن الكلام، مع تشنج وارتعاش في الفكين وعضلات الوجه، وضغط على الشفتين والفكين، يلي ذلك انفجار في النطق بأصوات ينجل المريض منها بعد إصدارها، وقد يحمله ذلك على التوقف عن الكلام^(٣). وتبدأ هذه المشكلة في مرحلة الطفولة المبكرة، وتشيع بين الأطفال فيما بين السنتين: الثانية والرابعة من العمر، لكنها تشيع بين الذكور بدرجة أكثر منها بين الإناث وذلك بنسبة تصل في الطفولة المبكرة إلى ٢-١، ثم تزداد بتقدم العمر حتى تصل نسبتها بين المجموعتين إلى ٥-١ في مرحلة البلوغ^(٤).



المبحث الثاني: الاكتساب اللغوي

أولاً: مفهوم الاكتساب اللغوي:

- لغة:

جاء معنى الاكتساب في لسان العرب: "كسب : الكسب طلب الرزق وأصله الجمع-كسب يكسب كسباً وتكسب، قال سيبويه : كسب أصاب ، واكتسب تصّرف واجتهد"، قال ابن جني في قوله تعالى: { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } عبر عن الحسنة بكسبت وعن السيئة باكتسبت، لأن معنى كسب دون معنى اكتسب لما فيه من الزيادة، وذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر. وفي معجم مقاييس اللغة يقول ابن فارس: "من كسب فالكاف والسين والباء أصل صحيح وهو يدل على ابتغاء وطلب وإصابة".

- اصطلاحاً:

هو اكتساب اللغة العملية غير الشعورية وغير المقصودة التي يتم بها تعلم اللغة الأم ذلك أن الفرد يكتسب لغته الأم في مواقف طبيعية وهو غير واع بذلك، ودون أن يكون هناك تعليم مخطط له، وهذا ما يحدث للأطفال وهم يكتسبون لغتهم الأولى، فهم لا يتلقون دروساً منظمة في قواعد اللغة وطرائق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلم مستعينين بتلك القدرة التي زودهم بها الله تعالى والتي تمكنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة وبمستوى رفيع.

وهو المراحل المختلفة التي يمر بها الطفل منذ لحظة الولادة حتى يستطيع التحكم في لغة المجتمع الذي ولد فيه، يستعملها غالباً حينما يصل إلى السنة الرابعة أو الخامسة من عمره على الأكثر.

ويتم اكتساب اللغة خلال الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل، حيث أثبتت الدراسات أن حاسة السمع محط استقبال المثيرات الصوتية تعمل قبل أن يولد الطفل، فقد وجد أن الجنين في بطن أمه يبدي استجابة

لبعض الأصوات، وبخاصة صوت الأم وعندما يولد الطفل تولد معه القدرة على السمع ثم تتطور تدريجياً قدرته على النطق واستخدام اللغة وفهم الكلام لتكتمل مع نهاية عامه الخامس.

عموماً يعتبر اكتساب اللغة وتطورها من الموضوعات شديدة الأهمية في علم نفس النمو وعلم نفس اللغة، ونظراً لأن اللغة من أهم وسائل ربط الإنسان ببيئته الاجتماعية فإن النمو اللغوي للطفل في السنوات الثلاث الأولى من عمره له أهمية بالغة في اكتساب العضوية في المجتمع.

وكل أطفال العالم قادرون على اكتساب أية لغة إنسانية من لغات البشر ببسر وسهولة فقط أن يعيش الطفل في مجتمع لغوي .

وذلك يدل على أنه من الصعوبة بمكان كبت اللغة أو وقف تطورهما، لأن القدرة الكامنة عند الطفل والتي تمكنه من اكتساب اللغة قوية لدرجة أنها تتطور في وجه أعتى الصعوبات، فأى طفل أينما وجد، في أي جزء من العالم، ومهما كان جنسه أو بيئته أو وضعه الاجتماعي، أو الاقتصادي قادر على تعلم أية لغة من لغات البشر قُدر له أن يعيش بين أبنائها وذلك لأن كل طفل يولد في جماعة يكتسب عاداتها الكلامية واستجاباتها في السنين الأولى من حياته.

فالطفل الإنساني - إذاً - كائن فريد في كثير من الجوانب ومن أهم هذه الجوانب وأخطرها على الإطلاق هو قدرته على اكتساب النظام اللغوي الثري والمتنوع، الذي يمكن أن يستغل بحرية، وفي أكثر الحيل والطرق المعقدة فقط عن طريق الاستغراق في التجمع اللغوي؛ الذي عن طريقه يتم استخدام النظام.

معنى ذلك أن الطفل يمارس اكتسابه للغة غير واعٍ بقواعدها أو مصطلحات هذه القواعد، وإن كان يملك القدرة الكامنة تلك القدرة التي تلازمه بلا وعي وتسمح له بأن يفهم وينتج عدداً غير محدود من الجمل الجديدة، فيطبق قواعد لغته تدريجياً دون معرفة مسبقة منه بمصطلحات هذه القواعد، لكنه قادر على تطبيقها تلقائياً، فهو - إذن - قادر على اكتساب اللغة لكنه غير قادر على وصفها؛ لأن وصف اللغة

يحتاج إلى قصد وإدراك كاملين لقواعد اللغة التي يصفها، وهذا ما لا يملكه الطفل في هذه المرحلة المبكرة من عمره.

ودليل هذا أن الطفل يتعرض لصعوبات جمة حين يبدأ المرحلة الإرادية في تقليد نطق أبويه أو من حوله من الكبار.

وما دام الطفل تعترضه كثير من الصعاب عند تقليده الإرادي لأبويه أو المحيطين به، فإن الصعوبة أدعى وأشد عندما يفرض عليه نظام تعليمي رسمي يجب فيه إحاطة الطفل بقواعد لغته. إن عملية اكتساب اللغة من الناحية النفسية أكثر ما تكون شبيهاً بعملية اكتساب العادات .

وبهذا المعنى يصح أن نصف ما يقوم به المرء من حركات وسكنات في أثناء التلغظ بلغته الخاصة عادات نطقية، ولم يكن ابن فارس مجانباً للصواب حين قال " تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات".

وإن كان اكتساب اللغة من الناحية النفسية أكثر ما يكون شبيهاً بالعادات فهو على الرغم من ذلك لا يمكن اعتباره وظيفة عضوية غرزية كالمشي مثلاً لأن الكلام وظيفة مكتسبة ثقافية غير غرزية.

ولأن الوظائف الغرزية هي أكثر ما تكون ظهوراً عند الحيوان، ولأن الإنسان يقوم ببعض الوظائف الغرزية مثل الحيوان، كان اكتساب اللغة - وهو من أخص خصائص الإنسان - بعيداً تماماً عن أن يكون وظيفة غرزية يقوم بها الطفل، وإلا تساوى الحيوان مع الإنسان من هذه الناحية أيضاً، وهذا مستحيل بالطبع؛ لأن اكتساب اللغة من جوانب تكريم الله تعالى للبشر، ولأن الحيوان بغريزته لا يستطيع أبداً مهما بلغت درجة رقيه أن يكتسب لغة كلغة الإنسان.

ونحن وإن تأكد لدينا أن اكتساب اللغة ما هو إلا عملية تلقائية يقوم بها الطفل دون قصد منه ودون معرفة مسبقة بقواعد لغته ومصطلحاتها إلا أننا يجب أن نؤكد حقيقة هامة مؤداها أن الطفل لا يكتسب لغته وهو

خالي الذهن ... بل هو عنصر إيجابي متفاعل مع اللغة التي يتعلمها، وليس إناء يصب المجتمع فيه قوالب جاهزة من تلك اللغة يغرف منها الطفل ما يشاء.

إنه يستخرج مما يسمع أبسط القواعد وأكثرها عموماً - قواعد تناسب المرحلة اللغوية التي يمر بها فلا أحد يعلمه هذه القواعد. لكنه عندما ينتقل من مرحلة الاكتساب إلى مرحلة التعلم يفعل ذلك بوعي كامل ويستعمل أساليب عقلية وعلمية وتجريبية في أثناء تعلم لغة مجتمع ما، ومما يؤكد إيجابية الطفل عند اكتسابه اللغة، أنه يقوم بخلق عدد كبير من الصيغ الجديدة قياساً على الصيغ المكتسبة التي يسمعها من الكبار لكن الجزء الأكبر من هذه الصيغ الجديدة لا ينطبق مع قواعد اللغة التي يكتسبها، فما هي غالباً إلا عوارض فردية ناتجة عن حس غير صائب باللغة، يتمكن الطفل تدريجياً من إصلاحها حتى تتطابق مع قواعد لغته التي يكتسبها، ولكن بعضها ينطبق مع الحس اللغوي العام انطباقاً يجعلها ينتهي بالاستقرار.

فكل متاكم بلغة ما يكتسب المادة الساذجة الخاصة بالصوتيات (الفونيمات) في لغته بالإضافة إلى القواعد التي تحكم توزيعها منذ الطفولة من طريق التقليد والمحاولة والخطأ، ويطور الطفل في هذا المجال من محاولات نشاطه العقلي وعياً بالنشاط العضلي المصاحب لحركة أعضاء النطق، أي نوعاً من الاستبطان يؤدي إلى التحكم الذاتي في الجهد العضلي؛ ولذلك يتعلم تلقائياً كيفية إصدار أصوات تنتمي في الغالب إلى الصوتيات الصحيحة، ويصير هذا الأمر جزءاً راسخاً من السلوك الثقافي اللساني عند الإنسان.

ولا ينتهي الأمر عند الطفل البشري عند هذا الحد الخاص باكتساب أصوات لغته، واكتساب القواعد التي تنظمها حتى تصل بها إلى أصوات صحيحة هي نسيج لغته التي يكتسبها، بل يتعدى الأمر إلى أن الطفل، وإن كان قادراً على اكتساب أصوات لغته فهو قادر على فرزها والتمييز بينها ثم تشكيلها لتصبح كلمات لها معنى، وذلك لأننا نولد مزودين بأعضاء صوتية وجهاز عصبي يمكننا من استخدام اللغة.

وتتركز اهتمامات الطفل أولاً في استخدام الكلمات التي تتعلق بحاجاته الأولية مثل الطعام والشراب واللعب، أما أول الكلمات التي تجذب انتباه الطفل فهي تلك الكلمات التي تتعلق بالأشياء أو المخلوقات التي تتحرك، أو القابلة للحركة أو التي تحدث صوتاً.

فضلاً عن أن الطفل في بداية اكتسابه للغة يستخدم معظم الكلمات التي تتعلق بالأب والأم، أو الحيوانات الأليفة.

أما الأسماء التي مثل (فوق) عند رغبته أن يرفع إلى أعلى، أو (كمان) عندما يريد المزيد، أو (باي) عندما يرغب في الخروج، فكلها تشكل كلمات بسيطة في استخدامات الطفل الأولى للغة.

وتخلو مفردات الطفل غالباً من الأسماء التي تعبر عن أشياء ساكنة مثل (حائط ونافذة) أو الكلمات الوظيفية مثل أسماء الألوان أو الأحجام (كبير وصغير) أو التي تعبر عن أحوال الطبيعة مثل (حار وبارد)، وذلك لأن هذه الكلمات إنما تعبر عن خصائص ساكنة للأشياء، هذه الخصائص الساكنة ليست مما يجذب انتباه الطفل في المرحلة المبكرة من عمره، وإنما الذي يجذب انتباهه أولاً الخصائص الديناميكية للأشياء كالحركة والصوت.

ولأن الطفل لا يلبث طويلاً حتى يكتشف ويستخدم مدى واسعاً من التلفظ بأصوات بغض النظر ويصبح قادراً على صياغة كلمات لها معنى من خلال امتلاكه للقواعد التي تحكم تنظيم وتشكيل هذه الأصوات، وهو قادر - أيضاً - على استخدام هذه الكلمات في صياغة جمل نحوية لها معنى فإن هذا كله شهادة مقنعة لما في وسع الطفل من قدرة على اكتساب اللغة.

وبناء على ما سبق فإنه يجب أن نرفض أمرين وهما:

نرفض - مثل تشومسكي - قول البنيويين بأن الدماغ لوح أمّلس، وأنه قبل تلقيه أية انطباعات خارجية فارغ تماماً، وذلك لأن عقل الطفل يحتوي على خصائص فطرية **Innate chare leristies** يطلق

عليها (ملكة فطرية) تجعل الطفل قادراً على تعلم اللغة الإنسانية، ويتمكن بواسطتها من تكوين قواعد لغته بصورة إبداعية.

وهذا بدوره يؤكد لنا - ما سبق ذكره- أن الطفل حين اكتسابه للغة يكون عنصراً إيجابياً متفاعلاً مع اللغة التي يكتسبها، وهو من ناحية أخرى يؤكد رفضنا لقول البنيويين أن عقل الطفل لوح أملس وأنه قبل تلقيه اللغة كان فارغاً تماماً.

ولأن العقل البشري هو العضو الذي يقوم بأرقى الوظائف الإنسانية؛ فإنه يجب أن نفسح المجال للعقل لما له من تأثير كبير في أنظمة الإدراك، وبخاصة الإدراك اللغوي، وذلك لأن اللغة ليست مجرد أصوات يصدرها الطفل، وليست كلمات لا معنى لها، ولا ترابط بينها، وإنما هي أصوات وكلمات وجمل تحكمها قواعد اللغة، ويجب أن يكون لها أغراض دلالية، وهذه الأغراض الدلالية لا يمكن أن نحصل عليها إلا عن طريق العقل وما يحويه من مراكز حسية.

ونرفض أن يكون اكتساب الطفل للغة ميراث بيولوجي للإنسان، ونرفض كذلك أن يكون معنى مصطلح اللغة السليقية **Native Language** أن اللغة تولد مع الطفل حين يولد لأن قبول هذا الادعاء يسوقنا إلى الإقرار بأن الناطق بالإنجليزية بوصفها لغته القومية وهو منحدر - على سبيل المثال - من أسلاف فرنسيين يرث ميلا إلى تعلم الفرنسية أكبر من ميله إلى الإيطالية أو الإسبانية، وأنه يتعلم الفرنسية أسرع وأيسر مما يتعلمها شخص ينتمي إلى سلالة مختلفة.

إن مثل هذا الدارس ربما لا يكون لديه ميل طبيعي أكبر لهذه اللغة، ولكن الذي لديه هو استحسان سابق للفرنسية.

وإذا كان ذلك كذلك، كان لهذا الاستحسان جذوره من إثارة ثقافة على ثقافة، أو جذوره من التقاليد أو العاطفة الأسرية، وليس من الميراث البيولوجي.

أما تعلم اللغة :

فهو عملية اختيارية يعتمد فيها الطفل تحصيل اللغة في ثوب رسمي يتعلم فيه قواعد لغته عن قصد منه ووعي وبشكل مباشر؛ وذلك لأن قدرته الكامنة قد تحولت من مرحلة اللاوعي بقواعد اللغة - حيث يستطيع الطفل أن يطبق قواعد لغته تدريجياً بفضل هذه القدرة الكامنة لكنه يفعل ذلك دون قصد وإدراك منه لتطبيقها - إلى مرحلة الوعي، حيث يتمكن من تعلم جوانب من قواعد لغته عن إدراك وقصد، وبالتالي فقد خرج الطفل من مرحلة التلقائية إلى مرحلة الوصف المباشر لقواعد هذه اللغة، ومن هنا تكمن صعوبة التعلم ويسر الاكتساب.

ومن هنا كان الأفضل أن نستخدم مصطلح الاكتساب، عن مصطلح التعلم؛ لأنه الأقرب إلى حالة الطفل عند استخدامه اللغة بطريقة عفوية تلقائية، كما أن مصطلح الاكتساب يشمل جانبين هامين، هما : فهم اللغة وإصدارها بالإضافة إلى أن الطفل قادر على اكتساب اللغة قبل معرفة قواعدها؛ ولذلك فإننا نجد الأطفال يتمكنون من اللغة المنطوقة قبل تعلمهم القراءة والكتابة، وهم يفعلون ذلك تلقائياً دون تدريب، في حين أن القراءة والكتابة ما هي إلا مهارات خاصة يحتاج الطفل فيها إلى تدريب خاص يقوم على المعرفة السابقة باللغة المنطوقة وكيفية تحويلها إلى لغة مكتوبة.

فاكتساب اللغة إذن أمر مختلف تماماً عن تعلم الحساب والجبر وتعلم القراءة والكتابة، ولهذا يؤكد بعض اللغويين أن هذه المرحلة الأولى من اكتساب اللغة تعتبر عملية نمو لا عملية تعلم.

إذن تعلم اللغة فهو تلك العملية الواعية التي تبدأ بعد سن الخامسة وهو سن الدراسة، حيث يتلقى الطفل كماً معرفياً متعلقاً بتعليم اللغة بشكل مبرمج ومخطط له مسبقاً من طرف الجهة الوصية.

يبدأ الطفل بتطوير وعي ما وراء اللغة بعد سن الخامسة، وهذا يشير إلى فهمه للغة وكيف تعمل، يصبح لديهم معرفة عن اللغة نفسها، ويصبحوا جاهزين لدراسة وتوسيع القواعد الضمنية، والتي تم فهمها ولكن

لم يتم التعبير عنها بشكل واضح وواع ومخطط له، لذلك فإنه يمكن للمعلم تطوير القدرات اللغوية لدى الطلبة باستخدام طرق عديدة منها :

١- التّركيز على الاستخدام الصحيح للغة.

٢ - التعبير الصحيح عن الأفكار.

٣ - التفاعل الاجتماعي باستخدام قواعد اللغة.

وبالتالي فالطفل يتلقى مجموعة المعارف التي تتميز بها لغته الرسمية- الفصحى -بما تحمله من مستويات معجمية ونحوية وتركيبية ودلالية قد تختلف عن تلك اللهجة التي اكتسبها في محيطه الأسري والاجتماعي، وبعد النضج وتحت تأثير المحيط والدارسة شيئاً فشيئاً سيكتشف الطفل نظام لغته، وسيتعرف على مجالات استعمال مختلف الصيغ اللغوية والتعبيرية وكيفية بناء الجمل الصحيحة في مختلف المواقف والوضعيّات الحياتية.

ومن ناحية أخرى، إن تعلم اللغة لا يعتبر عملية تبادلية واتصالية ولكنها نتيجة للتعليم المباشر في قواعد اللغة، وبكلمات أخرى إن الطلاب يكون لديهم معرفة واعية ومدركة للغة الجديدة ولديهم القدرة عن التعبير عن تلك المعرفة، ومن الأمثلة على ذلك قدرة الطلاب على إكمال الفراغات في تمرين أو نشاط قواعدي...

ويمكن إجمال الفرق بين الاكتساب والتعلم في الجدول:

الاكتساب	التعلم
مرحلة سابقة	مرحلة لاحقة
غير واعية/ غير شعورية	واعية/ شعورية
غير مخطط له	مخطط له سابقا
لغة المنشأ	اللغة الثانية (الفصحى)
عملية غير منظمة	منظمة

ثانياً: اكتساب اللغة طبع أم تطبع؟

لم يُعدّ خلافُ اليوم حول ما إذا كانت اللغة طبعاً أم تطبعاً، أي ما إذا كانت ظاهرة غريزية تلقائية أم اكتساباً من البيئة الاجتماعية، فجميع الباحثين متفقون على أنّ اللغة تُكتسب اكتساباً، ويؤكدون أهميّة العاملين البيولوجي والاجتماعي في عملية الاكتساب، ولكنهم يختلفون حول ما إذا كان العامل البيولوجي يتضمّن قابليّة لغويّة فطريّة مخصوصة أم لا، أي ما إذا كان اكتساب اللغة يتمّ بمساعدة استعداد لغويّ موروث أم لا، وإذا كان ذلك الاستعداد الفطريّ موجوداً فعلاً لدى الطفل عند ولادته، فما هي نسبة تأثيره في اكتساب اللّغة؟ ويشدّد الخلاف بين الماديّين والعقلانيّين حول هذا السؤال الأخير.

تُرجع كل النظريات عمليّة الاكتساب اللغوي إلى الاستعداد الطبيعي بالإضافة إلى قدرات الطفل المعرفية التي تلعب دوراً في تشكيل كفاءته اللغوية، إذ إن كل طفل في أي مكان وزمان قادر على اكتساب اللغة التي يتحدث بها مجتمعه بيسر وسهولة وفي فترة زمنية قياسية حتى إنه قادر على اكتساب لغتين أو أكثر في وقت واحد إذا تعرّض لها في المراحل الأولى من عمره بشكل طبيعي.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال كيف يكتسب الطفل لغة قومّه؟ هل يتعلّمها بفطرة أم تُعزّزها عوامل وظروف أخرى؟.

إن اللغويين العرب تحدثوا عن ظاهرة اكتساب اللغة في موسوعاتهم العلمية القيمة منذ اثنتي عشر قرناً تقريباً، ومن بين هؤلاء الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة عند الأطفال **الجاحظ** حيث يقول: " والميم والباء أول ما يتهيا في أفواه الأطفال كقولهم : ماما وبابا ، لأنهما خارجان من عمل اللسان هما يظهران بالتقاء الشفتين، وهذان الحرفان هما أول ما ينطقهما الأطفال عند اكتسابهم أصوات اللغة بالإضافة إلى الألف الذي ينطقونه لحظة ولادتهم....".

وهناك ثلاث نظريات أساسية حديثة تطرقت لتفسير اكتساب اللغة عند الأطفال وهي كما يلي:

١- النظرية السلوكية:

وضع سكينر نظريته عام ١٩٠٧ القائلة بأن اللغة تنمو مثل ما ينمو أي سلوك إجرائي أو أدائي آخر عن طريق الاشتراط، وترى المدرسة السلوكية أن اكتساب اللغة يتم بطرق مشابهة لتعلم الاستجابات غير اللغوية عن طريق المحاكاة imitation والترابط أو الاقتران association والاشتراط conditioning والتكرار repetition والتدعيم أو التعزيز reinforcement ، وقد أوضح أن تعلم معنى اللفظ يحدث من خلال الاقتران التكراري بين مثيرين لصدور استجابة ما .

فهو يرى أن اللغة، شأنها في ذلك شأن أي سلوك آخر، تكتسب عبر عملية الاشتراط الإجرائي. فعندما يقوم الطفل بإخراج تصويّات يتم تعزيزه (الابتسام له، رفعه إلى الأعلى، الخ)، مما يشجعه على إعادة السلوك، ويرى سكينر أنّ الانتقال من المناغاة إلى الكلمات الأولى تتم عبر عملية التشكيل Shaping حيث: يقوم الآباء بتعزيز الأطفال عندما ينتجون تصويّات تقترب من الكلمات الحقيقية، وفي مرحلة إنتاج الجمل يجري تعزيز الأطفال عندما ينتجون جملاً صحيحة (سليمة نحوياً).

ويعتقد أصحاب المذهب السلوكي بأن اكتساب اللغة يتحقق عن طريق البيئة الاجتماعية، وأن عقل الطفل صفحة بيضاء نقية تستقبل ما يرد عليها من الصيغ والعبارات، وأن اللغة هي المخزن الذي يلجأ إليه الطفل عند الضرورة لكي يختار العبارات والكلمات، فاللغة عند السلوكيين سلوك ومثلها مثل الأنماط الأخرى للسلوك الإنساني فإنها تعلم عن طريق عملية تكوين العادة.

والعادة تنتج هذه المكونات الأساسية:

- الطفل يقلد الأصوات والأنماط التي يسمعها حوله.
- الناس يتعرفون ويدركون محاولات الطفل من حيث تشابهها مع الكلام البالغ ويدعم ويكافئ الأصوات عن طريق الاستحسان أو أي رد فعل محبوب آخر.
- يحصل الطفل على مكافآت كثيرة من الأصوات والأنماط ويكررها، ومن هنا تصبح عادة.

إذن تؤمن المدرسة السلوكية بـ:

- أن اللغة مجموعة من العادات التي يتعلمها الأطفال بالتقليد والتكرار.
 - أن اللغة نظام منطوق قبل أن يكون مكتوباً.
 - أن البيئة تلعب دوراً أساسياً في نمو اللغة.
 - أن اكتساب اللغة يتم بطرق مشابهة لتعلم الاستجابات غير اللغوية عن طريق المحاكاة، والترابط، والاشتراط، والتكرار، والتدعيم.
 - أن اللغة سلوك، والسلوك يمكن تعلمه باستثارة الأطفال لهذا السلوك.
- ويلاحظ أن البيئة في المدرسة السلوكية تؤدي دوراً مهماً في تشجيع الطفل على الحديث، فهي المانحة الأولى (للخبرات والمهارات والمعلومات) وهذه البيئة هي التي تهين الطفل (لغويًا) للدخول للمدرسة والتعامل مع أقرانه، فإذا كانت لغته موازية لما لديهم من رصيد كان سهلاً عليه التعامل معهم، أما إذا كان رصيده اللغوي فقيراً عنهم فإنه يشعر بأنه أقل منهم، الأمر الذي يجعله خجولاً أو منطوياً غير منطلق في التعبير عن مشاعره وأفكاره، ومن هنا كان على أهل الحرص على تطوير لغة الطفل وعدم تعليم كلمات مبتورة الحروف، وعلى الآباء أن يتحدثوا مع أطفالهم بوضوح وهدوء وبعبارات سهلة تناسب المستوى العقلي لأطفالهم.

وهناك نظرية التعلم الاجتماعي لباندورا (Bandura) :

تؤكد نظرية ألبرت باندورا على التعلم من خلال الملاحظة والمحاكاة، وترى أن الأطفال يكتسبون الكلمات والجمل من خلال الاستماع إلى الآخرين ومحاكاة سلوكياتهم.

يمكن القبول بأن التعزيز دوراً في تشجيع الأطفال على إنتاج الكلام وبأن هناك دوراً للتقليد في اكتساب اللغة، فالأطفال يكتسبون اللغة واللهجة التي يتعرضون لها، ويمكن للمحاكاة مساعدة الأطفال في اكتساب بعض الكلمات والعبارات مثل شكراً، عفواً، صباح الخير، كيف حالك، الله يسلمك، الحمد لله، إلخ.

ولكن نظرية التعلم بشكل عام لا تقدم تفسيراً وافياً لاكتساب اللغة، وتعرضت للنقد من كثير من الباحثين!!

* لا يمكن للتعزير وحده تفسير السرعة التي يكتسب بها الأطفال اللغة، فلو كان الاكتساب يعتمد في الأساس على التعزير، لكانت هناك حاجة لتعزير عدد هائل وغير محدد من التقوّهات والكلمات والعبارات، وحتى عندما يتلقى الطفل تعزيراً لإنتاجه تقوّهاً ما بشكل صحيح، فإنّه لا يتلقى تغذية راجعة مباشرة حول الجزء الصحيح من الذي جرى تعزيره من كامل التقوّه، ويشار إلى هذه المشكلة بضعف المثير Poverty of the Stimulus.

عندما يتم تعزير الأطفال فغالباً ما يتم ذلك لإنتاجهم كلاماً صحيحاً وليس بالضرورة لإنتاجهم كلاماً سليماً نحوياً، كأن يقول "ماما هادا حصان" وهو يشير إلى الحصان أو "هادا كلب" وهو يشير إلى الخاروف فيتلقى تعزيراً سلبياً.

وهناك حالات وأمثلة، جرى فيها تصحيح الأطفال (تغذية راجعة) لإنتاجهم عبارات أو كلمات غير سليمة نحوياً أو صرفياً، ولم يفد الأطفال من ذلك:

الأب: كيف بسكليتك؟

الطفل: منزوع .. مو منيح

الأب: خلص .. بنصلحك يّاه

الطفل: خذو ع الصلاّح

الأب: ماشي .. رح آخذوا ع المصلّح

الطفل: خذني معك ع الصلاّح

وأخيراً ينتج الأطفال اللغة معتمدين على إبداعاتهم وتحليلهم الخاص للمدخلات اللغوية، فيظهر عندهم التعميم الزائد كما في المثال أعلاه، وهذا الإنتاج قطعاً ليس محاكاة لكلمات وعبارات سمعوها من الكبار.

٢- النظرية الفطرية Nativist Theory

يرى نعوم تشومسكي أنّ اللغة مهارة خاصّة وأنّ القدرة على تعلّمها موجودة في موروثنا الجينيّ، وأنّ الطفل يولّد وهو مزوّد بقدرة لغويّة خاصّة أو برنامج داخليّ يمكّنه من اكتساب اللّغة دون تدخل مباشر من الوالدين أو المعلمين؛ وأنّ تلك القدرة اللغويّة الفطريّة التي تولّد مع الطفل تمكّنه من الابتكار اللغويّ. إذن يفترض تشومسكي وجود جهاز فطري أو ما يدعوه بجهاز اكتساب اللغة، وعمله يقوم على تخزين ومعالجة المعطيات اللغوية الخام التي يسمعها الطفل وتمكنه من توليد مجموعة من القواعد اللغوية شبه المتناسقة والثابتة والتي ربما تختلف عن القواعد اللغوية التي يستخدمها الراشدون، ويشبه تشومسكي جهاز اكتساب اللغة بالصندوق الأسود الصغير، ويصفه ماكنيل أنه يحتوي على أربعة خصائص لغوية نظرية وهي:

- ١ - القدرة على تمييز أصوات الكلام من الأصوات الأخرى في البيئة.
- ٢ - القدرة على تصنيف أصوات اللغة إلى أنواع يجري تهذيبها فيما بعد.
- ٣ - معرفة أن نوعا ما من النظام اللغوي ممكن أو أنواعا أخرى غير ممكن.
- ٤ - القدرة على إنتاج نظام لغوي مبسط مما يتوفر أمامه من مواد.

و مما يُركز عليه تشومسكي الخلق والابتكار، فالطفلُ حالما يستوعبُ القواعد المختلفة تتكوّن عنده القدرة على الخلق، أي تركيب الجُمْل المختلفة التي يُريدُها دُون أن يكون بالضرورة قد سمع تلك الجُمْل وحفظها ممّن حوله، ولقد ذهب إلى أبعد من ذلك فقال إن الطفل لا يُولدُ وذهنُه صفحة بيضاء، بل يُولد و لديه قُدرة فُطرية على تعلم أي لغة .

وهو يرى أن الطفل لا يعرف المصطلحات (فعل ، اسم ، صفة ، أداة نفي... الخ) لكنه يستطيع تمييز الاسم من الفعل أو الصفة والمفرد من الجمع ، لذلك فهو يستعمل أداة التعريف مع الأسماء والصفات لكنّه لا يستعملها مع الأفعال بل يستعمل نون الوقاية فيقول : ضربني - أعطاني، كما أنه يستخلص

قاعدة التأنيث من نماذج مثل : صغير - صغيرة ، طويل - طويلة ، ثم، يُطبَّقها على أحمر فيقول أحمره ، لكنه يكتشف خطأ هذا التعبير لاحقاً فيعدل القاعدة بحيث تنطبق على الأسماء والصفات ويُنشئ أخرى. إذن مذهب ناعوم تشومسكي مخالف لسكنر، فاكتساب اللغة مهمة في غاية التعقيد ولذلك لا بد أن يكون الدماغ مزوداً بآلية خاصة للتعامل مع اللغة، تسمى جهاز آلية اكتساب اللغة **language acquisition device** . وهذه الآلية عبارة عن بنية فطرية تشتمل على قواعد عامة **universal grammar** وهي سمات تشترك فيها جميع اللغات (مثل مفاهيم الفاعل والمفعول والفعل) ولا يقوم أحد بتعليم الأطفال القواعد، بل إنَّ آلية الاكتساب تتيح للطفل استخلاص قواعد لغته من خلال الاستماع إلى الكلمات والجمل، ويتم هذا عبر عملية تسمى إعداد المعايير . **parameter setting** وعندما يكتشف الجهاز قاعدة أو معياراً مثل الترتيب الأساسي لمكونات الجملة مثل فعل فاعل مفعول به يقوم بتثبيت هذه القاعدة ويستخدمها الطفل لاحقاً لفهم وإنتاج الكلام.

ومما يدعم نظرية تشومسكي وجود مسار ثابت لاكتساب اللغة عند جميع الأطفال بغض النظر عن لغتهم الأم : المناغاة، الكلمة الجملة، الجملة المختصرة وصولاً إلى اكتساب معظم القواعد اللغوية في سن المدرسة. وذهبت النظرية الفطرية إلى أنَّ هناك فترة محددة لاكتساب اللغة (نظرية الفترة الحرجة) يكون فيها الدماغ جاهزاً ومستعداً للتعامل مع البيانات اللغوية، ويظهر هذا في الحالات البشرية التي وجدت معزولة عن محيطها اللغوي إلى ما بعد سن البلوغ أو في حالات المهاجرين الذين يبدوون في تكلم لغة ثانية بعد مرحلة المراهقة، فنادرًا ما يصلون إلى مرحلة إتقانها كما يتقنها الناطقون بها.

تعرضت نظرية تشومسكي للنقد وخاصة الجوانب المتصلة بجهاز اكتساب اللغة والقواعد العامة!!؟

*صحيح أنَّ هناك مناطق في الدماغ مسؤولة عن اللغة مثل بروكا وفيرنيكا، ولكن لم يتم اكتشاف مكان أو منطقة معينة تقابل جهاز الاكتساب الذي تحدث عنه تشومسكي، وما يزال علماء اللغة مختلفين حول طبيعة القواعد العامة.

*أما الحديث عن اكتساب اللغة بسرعة، فبحاجة إلى إعادة نظر إذا أخذنا مجموع الساعات التي يقضيها الطفل بالاستماع إلى اللغة والتفاعل معها واستخدامها منذ الولادة وحتى نهاية الخامسة.

٣- النظرية المعرفية أو الإدراكية:

حدثت تطورات على النسخة الأولى من النظرية الفطرية عبر النظريات الإدراكية cognitive theories التي طورها بياجيه وسلوبن، وعارضت هذه النظريات وجود جهاز خاص باللغة منذ الولادة، وركزت في المقابل على وجود قدرات إدراكية ومعرفية فطرية عند الطفل، وأكد بياجيه أن التطور اللغوي مرتبط بتطور القدرات الإدراكية عند الطفل، وقال بأن اللغة لا تظهر إلا بعد المرحلة الحسركية، ولا يبدأ اكتساب اللغة إلا بعد ظهور بعض القدرات الإدراكية مثل دوام الأشياء . object permanence

أما سلوبن فذهب إلى أن جميع الأطفال يمتلكون عدداً من الاستراتيجيات الإدراكية تسمى المبادئ العاملة operating principles وأنهم يطبقون هذه الاستراتيجيات أثناء اكتساب اللغة، ومن هذه الاستراتيجيات : انتبه الى ترتيب الكلمات في الجملة وانتبه الى نهاية الكلمات، ويتيح تطبيق الأطفال لهذه الاستراتيجيات تدريجياً لتحليل الكلام الذي يسمعونه اكتساب اللغة .

*ولا شك أن التطورات الإدراكية العامة مثل تحسن قدرة الذاكرة والتصنيف وغيرها، تقوم بدور مهم في تسهيل اكتساب اللغة، ولكن لو كان اكتساب اللغة يعتمد بشكل أساسي على التطور الإدراكي للاحظنا فروقا ذات بال في الاكتساب تبعاً لتفاوت القدرات الإدراكية عند الأطفال ولكن الأمر ليس دائماً كذلك.

إذن يفترض أصحاب النظرية المعرفية أن المهارات اللغوية للطفل وطاقته على الاكتساب اللغوي يسير في مراحل نمائية، وهكذا عكس وجهة نظر أصحاب النظرية الفطرية الذين يفترضون أن المقدرة اللغوية للطفل تكتمل قبل مولده وتثبت مع الزمن، ومع ذلك لا ينكر أصحاب النظرية المعرفية وجود استعدادات فطرية تعد متطلبات سابقة، بيد أنها لا تقتصر على اللغة فحسب لكونها عامة بالنسبة لمختلف المهارات

المعرفية واللغوية والأنشطة التي يؤديها الفرد، وعلى ذلك فإن المهارات اللغوية تعتمد إجرائيا على نمو المهارات المعرفية .

وإن اكتساب اللغة في رأي بياجيه ليس عملية إشراكية بقدر ما هو وظيفة إبداعية، فالنمو المعرفي يقع في مراحل متباعدة كماً وكيفاً ، وهذه المراحل ترتبط باستعدادات الطفل المتمثلة في العمر الزمني، و طبقاً له فإن الطفل في الثالثة من العمر تقريباً يكون قُربة نَصِف كلامه مُتمركزاً حول ذاته وفي سن السابعة يتناقص الأمر إلى الربع، ورغم أن الطفل يكتسب التسمية المبكرة للأشياء عن طريق المحاكاة ، ويقوم بعملية الأداء في صورة تراكيب لغوية إلا أن الكفاءة لا تُكتسب إلا بناء على تنظيمات داخلية تبدأ أولية ثم يُعاد تنظيمها وفق تفاعل الطفل مع البيئة الخارجية .

ويقصد بياجيه بالتنظيمات الأولية وجود استعداد لدى الطفل للتعامل مع الرموز اللغوية التي تُعبر عن مفاهيم تنشأ من خلال تفاعل الطفل مع البيئة منذ المرحلة الأولى وهي المرحلة الحسية الحركية، وعلى الرغم مما ذهب إليه وهو يتكلم عن الكفاءة والأداء فإنه لم يُسقط أهمية السَّماع في تحصيل اللغة ، فالطفل يحتاج إلى بيئة لغوية مناسبة للمحاكاة التي لا تتم إلا عن طريق الحواس ومن أهمها السمع ، كما أن لب نظرية بياجيه يتلخص في أنها توليدية تنجم عن آليات بيولوجية لها جذورها في نمو الجملة العصبية للفرد ، وأنها نظرية نُضجية ذلك أن بياجيه يعتقد أن عمليات تكوين المفاهيم تتبع نمطاً غير مُتغير من خلال مراحل واضحة أثناء مراحل العمر .

٤- النظريات التفاعلية Interactionist views :

تعتبر وجهة النظر التفاعلية نظرة توفيقية بين النظرة السلوكية التي تعتبر البيئة عامل هام في اكتساب اللغة والنظرة الفطرية التي ترى أن الأبنية الفطرية الداخلية هي المحددات الأولى في اكتساب اللغة.

وتقبل هذه النظريات أنّ هناك مكوّنًا فطريًا للغة ولكنها تؤكد على دور الدعم الاجتماعي الذي يقدمه الكبار للأطفال، وذهب برونر Jerome Bruner إلى أنّ الآباء يوفرون للأطفالهم نظام دعم اجتماعي لاكتساب اللغة. Language acquisition support system (LASS)

ويتألف هذا النظام من عدد من الاستراتيجيات التي تسهل اكتساب الأطفال للغة، ومن هذه الاستراتيجيات استخدام اللغة الطفولية baby talk ، فقد أظهرت الدراسات تفضيل الأطفال الصغار لهذا النوع من الخطاب، ويرى برونر أنّ هذا النوع من الكلام يساعد على جلب انتباه الطفل وفهمه للغة، ومن الاستراتيجيات الأخرى "التوسيع expansion" "لما يقوله الطفل فإن قال" "ماما تاكل" تقول الأم "صح ماما تاكل حمص" مثلاً، وبهذا تكون قد وسّعت جملة الطفل وطوّلتها وجعلتها جملة أكثر تعقيداً مع المحافظة على بنية لغوية سليمة نحويًا، وهكذا يملأ الآباء الفراغات اللغوية ويوفرون معلومات نحوية يمكن أن تساعد في اكتساب اللغة.

تقدم هذه النظريات التفاعلية موجّهات مفيدة للآباء حول كيفية المساعدة في تطور اللغة، ولكن لهذه النظريات مشاكلها أيضاً، * فقد تبين أنّ الممارسات اللغوية للآباء تتفاوت عبر الثقافات فاللغة الطفولية مثلاً لا تستخدم عند جميع الثقافات (Pinker ٢٠٠٧) ومع ذلك يكتسب الأطفال اللغة بالطريقة والسرعة ذاتها، وبالتالي لا يمكن أن يعتمد اكتساب اللغة بشكل رئيسي على التفاعل الاجتماعي.

٥- النظرية البيولوجية Biological Theory :

تتلخص النظرية في أنّ هناك خصائص بيولوجية تتوافر في الإنسان ولا توجد عند غيره من سائر أنواع الحيوان، وبهذا يتمكن الطفل من اكتساب اللغة، وقد خلص أصحاب هذه النظرية إلى القول بأن المهارات الأساسية اللازمة لاكتساب اللغات المختلفة عند الأطفال هي واحدة على الرغم من وجود اختلافات بين أجناس البشر من النواحي الفسيولوجية والبيولوجية.

ثالثاً: آراء حول اكتساب اللغة في تراثنا العربي:

رأي ابن فارس (ت ٣٩٣ هـ) :

لم يعد هناك أدنى ريب ولا شك في أن اللغة تُكتسب اكتساباً، فهي لا تولد مع الإنسان وإنما الذي يُولد معه هو الاستعداد لتعلمها، فهي "تؤخذ اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات وتؤخذ تلقناً من ملقن".

ففي هذا النص يُرشدنا ابن فارس إلى طريقين لتحصيل اللغة واكتسابها وهما على النحو التالي:

١- السماع العفوي:

ونعني به عملية الاكتساب المباشر بموجب المنشأ والمعاودة دونما تقنين أو تعليم مقصود بوعي وإحساس، فالمصدر الأول لاكتساب اللغة هو البيئة التي يعيش فيها الفرد، لأن الطفل يُولد بدون أي معرفة باللغة، ولكن بفضل استعداده الفطري يبدأ بشكل متدرج في تحصيلها، ومن هنا يأتي دور الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه فلا يمكن أن تنتمي حصيله الفرد اللغوية إلا إذا كان متصلاً بغيره من الناس، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشط وتقوى وفق نشاط مجتمعتها.

٢- التلقين:

يُعد التلقين النهج الثاني الذي تكلم عنه ابن فارس في اكتساب اللغة، ويظهر أن الغرض منه التعليم وصقل الموهبة، فهو اكتساب طارئ على العربي ولم يلجأ إليه إلا عندما فسدت لغة العرب بمخالطتهم الأعاجم، "و سبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى غير التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم، و يسمع كصفات العرب أيضاً، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى فساد اللسان العربي"، إلا أن التلقين بالمشافهة يُعتبر منهجاً متبعاً عند العرب فقد كان يتم تناقل أشعارهم وكلامهم، وما كان من أيامهم وأسمارهم شفاهاً بالحفظ والرواية من جيل إلى جيل ثم نزل الوحي

الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم شفاهاً وتلقاه عليه الصلاة والسلام سماعاً وحفظاً وكذلك رتله على أصحابه من حوله فما كان عليهم إلا أن تلقوه بالسماع والحفظ في الصدور، وما زال القرآن الكريم يُتلى كما كان يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم للحفاظ على طبيعة الصوت واللفظ بترتيبه وتجويده اتباعاً لسنته وتعبداً لله تعالى، ولم يكن التلقين وسيلة لتواتر القرآن الكريم من جيل إلى جيل، بل كان أيضاً وسيلة لنقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ الشعر، وتلقي اللغة وروايتها مما ساعد على ظهور كثير من العلوم كعلم الحديث والتاريخ واللغة والنحو والعروض وغيرها و "إن ما تعتر به علوم العربية حقا هو نهوضها على المشافهة، أي على التعليم الذي يكون بقاء الإنسان الإنسان وتواصله معه عبر اللغة ناقلة العلم".

رأي ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) :

تناول ابن خلدون قضية اكتساب اللغة من منطلق ثابت مفاده أن اللغة ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان، حيث يرى: " أن اللغات لما كانت ملكات ، كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات" فاللغة عبارة عن ميزة أو صفة إنسانية يكتسبها الإنسان بشكل متدرج غير مقصود فتبدو هذه المقدرة وكأنها طبيعية " لأن الملكات إذا استقرت ورسخت في مجالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل "، فهو يميز بين نوعين من عملية الاكتساب اللغوي:

-الاكتساب من خلال الترعُّع في البيئة وسماع لغتها.

-والاكتساب أو التعلم بواسطة الحفظ والمران.

إن اكتساب اللغة عند ابن خلدون، كما هو واضح من كلامه هو اكتساب للتركيب الحاملة للمعاني والدالة على المقاصد، وبعد ذلك هو حسن تطبيق هذا التركيب وتأليفه بالطريقة الفنية التي تجعله مطابقاً للسياق الذي يُقال فيه وملائماً له فالملكة اللسانية تعتمد على الجمل لا على المفردات من حيث تدرجها من الإفهام إلى الصحة إلى البلاغة.

(مكونات اللغة)

اللغة هي نظام معقد للغاية ، ومن الممكن تفسير اللغة بشكل أفضل من خلال تقسيمها إلى مكوناتها الوظيفية.

نقسم اللغة عادةً إلى ثلاثة مكونات رئيسية ، وإن لم تكن متساوية بالضرورة ، وهي: الشكل والمحتوى والاستخدام. يتضمن الشكل (Form) على النحو والصرف وعلم

LANGUAGE		
FORM	CONTENT	USE
Syntax	S e m a n t i c s	P r a g m a t i c s
Morphology		
Phonology		

الأصوات ، وهي المكونات التي تربط الأصوات والرموز بالترتيب. يشمل المحتوى (content) المعنى أو الدلالات ، ويطلق على الاستخدام (Use) اسم البراغمية. هذه المكونات الخمسة - النحو والصرف وعلم الأصوات وعلم الدلالات والبراغمية - هي أنظمة القواعد الأساسية الموجودة في اللغة.

الفونولوجيا (Phonology)

الفونولوجيا هو جانب من جوانب اللغة المعنية بالقواعد التي تحكم بنية وتوزيع وتسلسل أصوات الكلام وشكل المقاطع. تستخدم كل لغة مجموعة متنوعة من أصوات الكلام أو الفونيمات.

الفونيم هو أصغر وحدة صوتية يمكنها أن تحدث تغييراً في المعنى، مثلاً كلمتي (موز - جوز) إن الاختلاف هو في الفونيم الأول. وتصنف الفونيمات وفق عدد من الخصائص التي تميزها، مثلاً طريقة النطق (كيف يتم تعديل مجرى الهواء) ومكان النطق (أين يتم التعديل " النواطق ").

إن الفونولوجيا يدرس نماذج الأصوات وكيفية تناسقها، حيث أن كل لغة تختص بقبول تتابعات معينة للأصوات قد لا تقبلها لغات أخرى، ويجب أن ندرك أن التناسق لا يعني بأي حال بناء الكلمة على سبيل المثال : اللغة العربية لا تقبل تتابع السواكن (الحروف الساكنة) لهذا فمتكلم اللغة العربية يرفض كلمة مثل (رُسْدَال)، وكذلك فهو يرفض كلمة مثل (كلطعجم) وذلك لعدم تناسق الأصوات فيها، وهذا يعني وجود نظام معد أصلاً في الدماغ من خلاله يقبل الفرد التتابع الصوتي أو يرفضه، ولعل هذا المستوى يميز أبناء كل لغة عن غيرهم من أبناء اللغات الأخرى.

للوصل إلى شكل الكلمة النهائي المتناسق والمقبول هناك ثلاثة مراحل هي :

- جمع الأصوات
- اتحاد الأصوات لتشكيل المقطع
- اتحاد المقاطع لتشكيل الكلمات

المقطع الصوتي هو اتحاد صوتين أو أكثر، حيث يكون أحدهما صائت (صوت علة Vowel) والثاني ساكن (consonant) مثال:

مدرسة : كلمة تناسق أصواتها مقبولا في اللغة العربية، وقد اجتمعت على شكل مقاطع وهي (مَدَّ - رَ - سَة) : (mad - ra - sa)، وهذه المقاطع اجتمعت فشكلت تناسق صوتي مقبول في اللغة العربية.

ولو عدنا للمقاطع السابقة سنجد أن كل مقطع اشتمل على (Vowel) إلى جانب صوامت أخرى، ويسمى صوت العلة (نواة المقطع) ولنا يمكن أن نعتبر أي مقطع إذا احتوى على صوت علة (Vowel) .

كيف يتكون النظام الفونولوجي ؟؟

يولد الطفل ولديه استعداد لاكتساب اللغة، ولكن لا توجد قوالب لغوية في دماغه، حيث يستمع الطفل إلى لغة الكبار المحيطين به، وتخزن في دماغه. وعند الوصول إلى القدرة على نطق الأصوات يبدأ بالتجريب، فإن لاقت تجاربه قبولا لدى الآخرين، يثبت الأنماط الناجحة ويسقط الأنماط الفاشلة.

ولنا بد لنا عند التطرق إلى الفونولوجيا من التمييز بين عدد من المصطلحات أهمها:

- 1- الفونيم (Phoneme): هو أصغر وحدة صوتية تؤدي إلى فرق في المعنى إذا استبدلت بصوت آخر في نفس البيئة الصوتية.
- 2- الثنائيات الدنيا Minimal Pairs: كلمتان متشابهتان في الأصوات وترتيبها باستثناء صوت واحد كما في : "حديد - جديد" ، " يطير - يصير "
- 3- الألوфон Allophon: شكل صوتي من أشكال الفونيم يمكن التنبؤ به (أي أنه يوجد في بيئة صوتية محددة ، أي أن الفونيمات تحكمها قواعد محددة مثلا كلمة qalam بالفصحى وتنطق alam بالعامية.

ومهمة الفونولوجيا دراسة وظيفة الأصوات من حيث تغيير المعنى أم لا، ويكون ذلك بمقابلة الخصائص التي يحملها كل صوت وتحديد المتشابه منها والمختلف، فمثلا

لو نظرنا للكلمتين (سير زير) نجد أن الصوتين الأوليين متفقين في جميع الخصائص باستثناء خاصية واحدة هي الجهر والهمس، فبينما تبدأ الكلمة الأولى بالفونيم المهموس / S/ تبدأ الثانية بالفونيم المجهور / Z /، أي أن الاختلاف في المعنى بين الكلمتين يعزى الى الاختلاف في الجهر والهمس، وتدعى هذه بالخاصية المميزة. ومن الخصائص المميزة للأصوات :

- 1- الخاصية المقطعية وغير المقطعية [±Syllabic]: هذه الخاصية تصنف الأصوات التي تشكل نواة المقطع.
- 2- الصامتية وغير الصامتية [±consonantal]: تصف هذه الخاصية الأصوات التي يرافق نطقها تضيق جزئي أو إعاقاة تامة
- 3- الخاصية الجهورية وغير الجهورية [±sonorant]: تصف هذه الخاصية الأصوات التي يسمح فيها الجهاز النطقي للوترين الصوتيين بالتذبذب الحر.
- 4- الأنفية وغير الأنفية [±nasal]: تصف هذه الخاصية الأصوات التي ينخفض سقف الحلق اللين عند النطق بها بحيث يسمح للهواء بالمرور من خلال فتحة الأنف.
- 5- الاستمرارية [±continuant]: وهي الخاصية التي تصف الأصوات التي لا يخرج الهواء أثناء نطقها بحرية أو تلك التي تواجه إعاقاة جزئية لتيار الهواء في فتحة المزمار أو البلعوم أو في نقطة محددة في الفم
- 6- التسريح المتأخر وغير المتأخر [±Del Rel]: تعني تأخير إطلاق سراح الهواء عند النطق بالصوت الانفجاري لحين البدء بنطق الصوت الاحتكاكي، وينتج هذا عند النطق بالصوت المزجي.
- 7- الجهر والهمس [±Voiced]: تصنف هذه الخاصية وضع الأوتار الصوتية عند نطق الأصوات، فالصوت مجهور اذا اهتزت الأوتار ومهموس إذا لم تهتز.
- 8- الصفيرية وغير الصفيرية [±strident]: تتمثل هذه الخاصية بالضجيج الذي يرافق نطق الأصوات عندما يمر الهواء من فوق سطح خشن.
- 9- الجانبية وغير الجانبية [±lateral]: تصف هذه الخاصية الأصوات التي يتم نطقها من خلال الإعاقاة التامة لتيار الهواء في وسط الفم، بينما يسمح له بالخروج من جانبي اللسان.
- 10- التاجية وغير التاجية [±coronal]: تنطق الأصوات التاجية برفع مقدمة اللسان باتجاه الأسنان الأمامية أو اللثة أو الغار.
- 11- الأمامية وغير الأمامية [±anterior]: تكون إعاقاة تيار الهواء عند النطق بالأصوات الأمامية في مكان لا يتعدى اللثة.

- 12- المرتفع وغير المرتفع [$\pm$ High]: تصنف هذه الخاصية ارتفاع جسم اللسان للأعلى من الوضع المحايد أو عدمه عند النطق بصوت معين.
- 13- الخلفي وغير الخلفي [$\pm$ back]: تصنف هذه الخاصية سحب اللسان للخلف من الوضع المحايد أو عدمه عند النطق بصوت معين.
- 14- الشديد والرخو [$\pm$ tense]: الصائت الشديد ترافقه زيادة في الجهد الذي تبذله عضلات الجهاز النطقي، ويتميز بوضوح النطق إضافة إلى بقاء أعضاء النطق في مكانها مدة أطول.

وكما تم الحديث عن الأصوات المفردة ووظائف هذه الأصوات لا بد من الحديث عن الوحدات الأكبر وهي المقاطع الصوتية، حيث يتألف المقطع من صوت أو أكثر، ولنا بد للمقطع أن يحتوي على صائت يشكل نواة المقطع nucleus وتسمى الصوامت التي تسبق الصائت في المقطع بداية المقطع syllable onset وتسمى الصوامت التي تتبعه نهاية المقطع syllable coda .

تتمتع المقاطع الصوتية بعدد من الخصائص من أهمها **النبر Stress** وهو يعني المزيد من النشاط التنفسي أو الجهد العضلي أثناء انتاج المقطع، أما بالنسبة للمستمع فالنبر يعني زيادة في علو الصوت للمقطع المنبور، وارتفاع نغمته بالمقارنة مع المقطع غير المنبور. أيضا من خصائص المقطع **التنغيم intonation** يعرف التنغيم بأنه مجموعة من التغيرات التي تطرأ على النغمة عندما ينطق المتكلم شبه جملة أو جملة كاملة، وتعدى وظيفته المستوى الصوتي لتشمل المستويين النحوي والدلالي.

ثانياً- الصرف (Morphology) :

هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يدرس تركيب المفردات اللغوية وكيفية بنائها وأنواعها المختلفة. ولذلك فهو يختلف عن علم النحو الذي يبحث في بناء الجملة وأنواعها ووظائف المفردات فيها. وهو العلم الذي يبين لنا أن كلمة (باب) اسم وكلمة (يفتح) فعل وكلمة (على) حرف جر. ودراسة علم الصرف تدلنا على أن المفردات (كتاب - مكتب - مكتبة مكتوب) مشتقة من جذر واحد وتشترك في المعنى الأساسي لهذا الجذر. أي أن علم الصرف يبين لنا العلاقة البنيوية بين المفردات.

وقد يتبادر إلى ذهننا في كثير من الأحيان عدد من التساؤلات:

ماهي الكلمة ؟ ماذا تعني معرفتنا بالكلمة ؟ كيف تبني الكلمات ؟ ما علاقة المعنى العام للكلمة بمعاني الأجزاء المكونة لها؟

لو نظرنا إلى جملة مكتوبة، أو استمعنا إلى جملة محكية فإننا في الغالب نستطيع أن نحصي عدد الكلمات التي تتكون منها الجملة. مثال:

"انتهى الفصل الأول من العام الدراسي دون أن نشعر به" نلاحظ أن هذه الجملة تتكون من (10) وحدات أو كلمات. وذلك لأننا اعتبرنا أن الكلمة مجموعة من الحروف المرتبطة معاً يفصلها فراغ عن المجموعة التي تسبقها أو تتبعها.

ولكن هذا الكلام ينطبق عندما تكون الكلمة مكتوبة، ولكن إذا كانت الجملة محكية فإن الكلمات تتداخل مع بعضها بعضاً بحيث يتصل المقطع الأخير من كلمة بالمقطع الأول من الكلمة اتلي تليها، وبالتالي يكون من الصعب تحديد عدد الكلمات أو الفصل بينها إلا إذا نطقت الجملة ببطء شديد.

وولو تأملنا الجملة السابقة نجد أن هناك تبايناً واضحاً بين هذه الكلمات من حيث الحجم والوظيفة، فكل كلمة (من) تتكون من مقطع واحد وتؤدي وظيفة نحوية معينة في الجملة ولا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها ذات معنى، أما كلمة (الدراسي) فيمكن تجزئتها إلى (ال + دراسي).

عندما يستخدم أحداً لغته في الحديث أو الكتابة فإنه يستعمل في كل كلمة مجموعة من الأصوات أو الحروف في حالة الكتابة، ليكون منها كلمة معينة ذات معنى، ونلاحظ أن أصوات الكلمة الواحدة مرتبة ترتيباً معيناً اتفق عليه الناطقون بهذه اللغة وأصبح جزءاً من القواعد التي تشكل في مجموعها النظام الصوتي للغة. وإذا قام أحد بتغيير ترتيب الأصوات في كلمة ما فإنه قد ينتج كلمة أخرى ذات معنى مختلف وقد تكون الكلمة الجديدة كلمة غريبة لا يقبلها النظام الصوتي للغة نفسها. مثلاً كلمة **مدرسة** لو تغير الترتيب وأصبحت **دمرسة** لا تنتمي هذه الكلمة إلى قاموس اللغة العربية إذا لا معنى لها. وهذا يعني أن معرفتنا بالكلمة تتضمن معرفة الأصوات المكونة لها وكيفية نطقها وترتيبها في الكلمة.

وهناك نوع آخر من المعلومات التي تشكل جزءاً أساسياً من معرفتنا الكلية بمفردات اللغة يتعلق بمعنى الكلمة أو مدلولها، فنحن نقبل الجملة " كتب خالد وظيفته " ونفهم معناها، ولكننا لا نقبل الجملة " كتب الكرسي وظيفته " لأننا ندرك أن الكرسي جماد وليس لديه القدرة على الكتابة، حيث أن الكتابة ليست من مكونات معنى كلمة

"كرسي" ولذلك لا نقبل مثل هذه الجملة لوجود خلل في العلاقات الدلالية بين مفرداتها.

ولابد لنا من معرفة كيفية استخدام الكلمة في الجملة من حيث موقعها وعلاقتها بالمفردات التي تسبقها أو تتبعها، كما أنه لابد من معرفة كيفية استخدام الكلمة في السياق لأن استخدام الكلمة في سياق غير مناسب قد يؤدي إلى سوء فهم الرسالة المقصودة.

قد تتكون الكلمة من جزء واحد فقط لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء أصغر منه ذات معنى مثل: باب، حصان، لوح، كرسي، وهناك كلمات يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها ذات معنى أو وظيفة نحو: معلمون التي يمكن تقسيمها إلى: معلم + ون فكلمة معلم لها معنى معروف، أما الواو والنون فهما علامة جمع المذكور السالم. ولذلك فإن مفهوم "الكلمة" غير دقيق ولابد من اللجوء إلى مفهوم آخر هو المورفيم morpheme. يعرف المورفيم بأنه أصغر وحدة في اللغة يمكن أن يكون لها معنى أو وظيفة لغوية. وقد يكون المورفيم كلمة مستقلة ذات معنى لا يمكن تقسيمها إلى وحدات أصغر منها ذات معنى مثل: توت، عنكبوت، وهناك كلمات أخرى تتكون من مورفيمين أو أكثر مثل العاملون: (ال + عامل + ون) ومن هذا المنطلق تقسم المورفيمات إلى نوعين رئيسيين:

1- المورفيم الحر أو المستقل: Free morpheme

هو وحدة لغوية مستقلة بذاتها (كلمة) لها معنى لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها نحو: بنت، بيت، جرس. فلا يمكن تقسيم كلمة جرس مثلاً إلى جر + س. ويمكن تقسيم المورفيمات الحرة إلى قسمين: كلمات محتوى وكلمات وظيفية. تعرف كلمات المحتوى بأنها الكلمات التي لها معنى مستقل كالأسماء والأفعال والصفات والظروف. أما الكلمات الوظيفية فهي الأدوات التي تؤدي وظيفة نحوية أكثر من كونها ذات معنى معجمي مثل حروف الجر وحروف العطف والجزم والنصب وغيرها. وتقدم الكلمات house, lion, strong أمثلة على المورفيمات الحرة في اللغة الإنجليزية.

2- المورفيم المقيد: Bound morpheme

هو وحدة لغوية غير مستقلة بذاتها بل لابد أن تكون مرتبطة بغيرها من المورفيمات الحرة. فكلمة الدراسات مثلاً تتألف من أربعة مورفيمات هي: المورفيم الحر درس والمورفيمات المقيدة ال- التعريف وصيغة اسم الفاعل ومورفيم الجمع ات-. ومن أمثلة المورفيمات المقيدة في اللغة الإنجليزية re- و ion- في كلمة reaction.

ومن المورفيمات المقيدة في اللغة العربية واو الجماعة في درسوا وتاء الفاعل في درست وألف الاثنين في درسوا وتاء التأنيث في درست.

نلاحظ من هذه الأمثلة أن بعض الكلمات تتكون من:

أ. الجذر Root :

وهو الجزء الأساسي الذي يضاف إليه مورفيمات أخرى لتكوين كلمات جديدة، وهو الجزء الذي يشكل المعنى الأساسي للكلمة نحو درس في الدارسات و act في reaction.

ب. السابقة (البادئة): Prefix

وهي المورفيم المقيد الذي يسبق الجذر مثل (ال-) التعريف وأحرف المضارعة في العربية (البيت، ندرس)، وموفيم النفي في اللغة الإنجليزية كما في inaccurate و disadvantage.

ج. اللاحقة Suffix

وهي المورفيم المقيد الذي يلي الجذر مثل الضمائر المتصلة بالفعل في اللغة العربية ركضتُ، حضروا و ألف الاثنين ذهباً والألف والتاء (-ات) في نهاية جمع المؤنث السالم معلمات، وفي treatment و ness arrival و madness.

د. الداخلة Infix

وهي المورفيم المقيد الذي يفيد معنى أو وظيفة نحوية نتيجة تعديل أو إضافة داخل الجذر مثل صيغة اسم الفاعل في كاتب وصيغة اسم المفعول في مكتوب. وهذا النوع من المورفيمات شائع في اللغات السامية كالعربية والعبرية ويندر وجوده في اللغة الإنجليزية (Katamba, 1993: 44) ويمكن تقسيم المورفيمات المقيدة من حيث أثرها على الكلمات التي تضاف إليها إلى قسمين:

1. المورفيم الاشتقاقي Derivational morpheme

هو المورفيم الذي يضاف إلى الجذر لتكوين كلمة جديدة بطريقتين:

أ. تغيير معنى الجذر الذي يضاف إليه المورفيم الاشتقاقي مثل:

happy : unhappy ; obey : disobey ; correct : incorrect

ان إضافة هذه السوابق (المورفيمات المقيدة) إلى جذور الكلمات في الأمثلة السابقة يؤدي إلى تغيير معنى الجذر إلى ضده. ومن أمثلة هذا النوع من السوابق في اللغة العربية استعمال (لا) في بداية بعض الكلمات لتفيد عكس المعنى مثل: اللامتناهي، اللامحدود. وكذلك ياء النسبة مثل مصري، سوداني، تميمي، حلقي، شفوي، قلبي، فإضافة الياء إلى الاسم تحول الاسم من نكرة إلى معرفة وتفيد معنى النسب أيضاً.

ب. تغيير فئة الجذر الذي تضاف إليه اللاحقة كأن يتحول الفعل إلى اسم نحو:

treat + ment → treatment.

exist + ence → existence.

translate + ion → translation.

أو تتحول الصفة إلى ظرف نحو:

happy + ly → happily.

kind + ly → kindly.

وفي العربية تأتي معظم المورفيمات الاشتقاقية في وسط الجذر (دواخل) مثل:

شرب + صيغة اسم الفاعل ← شارب

علم + صيغة المبالغة ← علام

يتضح لنا مما سبق أن المورفيم الاشتقاقي يغير معنى الجذر أو يشتق منه كلمة من نوع جديد.

2. المورفيم الصرفي Inflectional morpheme

هذا نوع آخر من المورفيمات المقيدة يضاف إلى جذر الكلمة لتحقيق غرض نحوي ولكنه لا يغير معنى الكلمة الأساسي ولا يغير فئة الكلمة أيضاً نحو:

cat + s → cats.

speak + s → speaks

cold + er → colder

tall + est → tallest

ومن الأمثلة العربية لهذا المورفيم: مورفيم جمع المذكر السالم ون مورفيم جمع المؤنث السالم ات ومورفيم التنثية ان ومورفيم المضارعة الذي يضاف إلى الفعل الماضي لجعله مضارعاً تأتي نحو:

قلم + مورفيم التنثية ← قلمان

مزارع + مورفيم الجمع ← مزارعون

دَرَسَ + مورفيم المضارعة للمتكلم المفرد ← أدرسُ

شرب + مورفيم المضارعة للمفرد الغائب المؤنث ← تشرب

نلاحظ هنا أن كلمة قلم بقيت اسماً ولكنها اختلفت من حيث العدد وكلمة درس بقيت فعلاً ولكنها تحولت إلى الفعل المضارع.

النحو Syntax:

لو أردت أن تفتح محادثة مع شخص وتخبره شيئاً ما، لو افترضنا أنك تريد قول ("حضرت البارحة جميع محاضراتي" بهذه الحالة يجب أن يكون لديك معرفة بالكلمات (حضرت ، البارحة ، جميع ، محاضراتي) ، وأيضاً يجب أن يكون لديك معرفة بالنظام الذي يجب أن ترتب به هذه الكلمات لتشكيل الجملة وإيصال الرسالة المقصودة، ولكن ماذا لو قلت " البارحة جميع محاضراتي حضرت أو جميع البارحة حضرت محاضراتي، هنا يختلف المعنى تماماً، كما أننا نعد هذه الجملة غير صحيحة قواعدياً، لذلك، فعندما تتعلم لغة فهذا يعني أنك تتعلم النظام الذي توضع فيه الكلمات وكيفية ترتيبها في الجمل. إذا فالنحو هو القواعد التي تحكم تنظيم الكلمات في الجمل. ويمكن القول بأن علم النحو هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول معرفة الناطقين بلغة معينة ببنية الجمل وأشباه الجمل.

إن القواعد النحوية هي التي تحكم ترتيب الكلمات وبالتالي من الممكن أن تنتج عدد كبير من الجمل من نفس العدد من الكلمات فقط بتغيير القواعد النحوية مثال:

لدينا الكلمات (أحمد، خالد، كتب، إلى ، رسالة ، و ، رامي) سوف نكتب بعض الجمل من نفس الكلمات:

كتب أحمد رسالة إلى خالد ورامي - كتب أحمد رسالة خالد إلى رامي

عند قراءة نص أو جملة ربما لم تسمع بها من قبل لكنك قادر على فهمها. إن فهم الجمل في هذه الفقرة ، بالإضافة إلى الجمل التي تصادفها كل يوم ، ربما ينطوي على أكثر من مجرد فهم الكلمات والأشكال ومحاولة تجميع المعنى المحتمل للكاتب أو المتحدث. فأنت هنا تستخدم البنية الصرفية والتي تتطلب معرفة ودراية بالعديد من جوانب اللغة: المكونات الصرفية - الفئات الصرفية - البنى الصرفية - الدلالات الصرفية.

علم الدلالة Semantic

لكي تؤدي اللغة وظيفتها الأساسية في التواصل لابد أن تؤدي الأصوات والمفردات والجمل معنى معيناً، وهنا لابد من دراسة وفهم علم الدلالة الذي يشكل مستوى أساسياً من مستويات الدرس اللغوي يبحث في معنى الكلمة والجملة ، ولا تكتمل دراسة الوحدات اللغوية كالكلمة والجملة إلا بدراسة معاني هذه الوحدات ومدلولاتها لأن معرفة هذه المعاني تشكل أساس عملية التواصل اللغوي بين الناطقين بلغة ما سواء كان هذا التواصل لفظي أو مكتوب أو رمزي. ولذلك فعلم الدلالة (المعنى) هو أحد المكونات الأساسية لعلم اللغة كالنحو والصرف والنظام الصوتي.

الكفاية اللغوية على المستوى الدلالي Linguistic competence :تعني معرفة الأمور التالية :

- 1- المعنى الحرفي أو المعجمي وهو المعنى الأساسي للمفردة الذي يزودنا به المعجم.
- 2- المعنى المجازي للكلمة وهو استعمال الكلمة لتدل على معنى جديد غير المعنى الحرفي لها، فعندما نقول فلاناً أسد فإننا نقصد أنه شجاع.
- 3- المعاني المختلفة للكلمة الواحدة فكلمة عين تعني (عضو البصار - نبع الماء - الجاسوس)
- 4- العلاقات بين المفردات كالترادف والتضاد والاشتغال وغيرها. مثال صحراء وبيداء وفلاة تدل على نفس المعنى.
- 5- السياق الذي تستخدم فيه الكلمة.
- 6- السمات الدلالية للكلمة. فكلمة مربع مثلاً (سطح مستو، له أربع أضلاع متساوية وزاوية قائمة)
- 7- معنى الجملة
- 8- العلاقات بين الجمل.
- 9- سمات الجمل.

إن كل كلمة في اللغة ترتبط بمعنى معين واحد أو أكثر، ولكن العلاقة بين الشكل اللغوي أو الكلمة المنطوقة ومدلولها في واقع الحياة علاقة توفيقية، وهذا يعني أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الأصوات المكونة لكلمة وما تدل عليه هذه الكلمة. وتقسم الكلمة إلى قسمين من حيث الدلالة :

أ - الدال Signifier : مجموعة من الأصوات والنبر المكونة لكلمة ما.

ب- المدلول Signified: وهو الشيء الذي تدل عليه الكلمة في واقع الحياة.

فعلى سبيل المثال العلاقة بين كلمة حصان والمخلوق الذي تدل عليه علاقة توفيقية أي أنه لا يوجد سبب يعلل العلاقة بين ألفاظ الكلمات ومدلولاتها.

إن معنى الكلمة هو الصورة الذهنية للشيء الذي تشير إليه، وهذا يعني أن الصورة الذهنية لشيء واحد قد تختلف من إنسان لآخر ومن بيئة اقتصادية أو اجتماعية إلى أخرى. فالصورة الذهنية للجمال مثلاً تختلف من شخص إلى آخر وقد تختلف من مجتمع إلى آخر. وعلاوة على ذلك هناك كلمات لها معنى ولكن ليس لها صور ذهنية تقابل شيئاً ملموساً أو محسوساً مثل : إن ، أو ، فقط، هذا ، يشعر، يعرف .. .

ويرى بعض اللغويين أن معنى الكلمة يتحدد بالسياق الذي تستخدم فيه، ولذلك فقد لا يظهر المعنى إلا من خلال السياق الذي تستخدم فيه الكلمة أو الجملة.

ويقسم بعض الباحثين المعنى إلى ثلاثة أنواع:

1- المعنى الدلالي Referential meaning : والمقصود بالمعنى الدلالي للكلمة الشيء ذاته أو الفكرة المجردة أو الحدث أو الحالة التي تشير إليها الكلمة أو الجملة. فالمعنى الدلالي هو العلاقة بين الدال (الكلمة) والمدلول (الشيء الذي تشير إليه الكلمة في واقع الحياة).

2- المعنى الاجتماعي Social meaning : هو مستوى المعنى الذي نستخدمه في تحديد الخصائص الاجتماعية للمتكلم ونوعية العلاقة القائمة بين المتكلمين اعتماداً على نوعية اللغة التي يستعملها المتكلم في سياق معين، فكثيراً ما نصف شخص أنه متعلم ومثقف بمجرد استماعنا لحديثه ومستوى لغته والمفردات اللغوية التي يستخدمها.

3- المعنى الوجداني (النفسي) Affective meaning : وهو ذلك الجانب أ، المستوى من المعنى الذي يعبر عن شعور المتكلم أو اتجاهه أو رأيه نحو أمر ما في سياق معين، فعندما نقول أن فلاناً جبان أو أنه يخاف فإن المعنى في الحالتين يتضمن صفة الخوف أو الجبن ولكن الجملة الأولى تحمل في طياتها الاحتقار والاهانة أشد ما يحمله المعنى في الجملة الثانية.

خامساً - الاستخدام الاجتماعي للغة Pragmatics:

إن الكفاية اللغوية للناطقين بلغة ما لا تقتصر على إصدار أحكام على الجمل من حيث كونها منسجمة وقواعد النحو والصرف أم غير منسجمة فحسب، بل تشمل هذه الكفاية أيضاً على قدرة أصحاب اللغة على تقييم نص قد يكون من جملة واحدة أو فقرة واحدة أو صفحة وأكثر. إذ يستطيع القارئ لنص ما أو المستمع لحديث ما أن يقول بأن هذا النص يشكل وحدة مترابطة من حيث اللغة والموضوع أو أنه مجرد جمل غير مترابطة تفتقر إلى التماسك اللغوي والموضوعي.

كما أن هناك بعض الظواهر اللغوية التي لا يمكن دراستها إلا بدراسة العلاقة بين الجمل التي تشكل النص. ولذلك لا بد من الحديث عن اللغة في سياقها وعن كيفية استخدام الجمل المقبولة نحويًا ودلاليًا في سياق معقول. فالجملة بحد ذاتها وخارج سياقها قد تكون جملة مقبولة ومنسجمة مع قواعد اللغة إلا أنها قد تصبح غير مقبولة إذا ما استخدمت في السياق غير المناسب، فمثلاً عندما يقول شخص عظم الله أجركم نجدها مقبولة إذا استعملت للتعزية أو للمواساة بفقيد، ولكنها تصبح غير مقبولة إذا استخدمت للتعزية. فالذي جعل العبارة غير مقبولة هو استعمالها في السياق الخطأ غير المقبول اجتماعياً.

وعملية التواصل اللغوي عادة لا تتم باستعمال مفردات أو جمل منفصلة بل الربط بين جمل وتفهوات أو أشباه جمل متعددة. وهذا واضح في سلوكنا اليومي فنحن نقرأ خبر في صحيفة أو نشاهد مسرحية أو نقرأ قصة قصيرة وجميعها تتكون من جمل عديدة مرتبطة مع بعضها بشكل متماسك ومترابط يؤدي إلى إيصال رسالة. إن استخدام اللغة بشكل وظيفي يستوجب معرفة بعض الجوانب اللغوية أهمها:

التماسك اللغوي - الوحدة الموضوعية للنص - الفعل الكلامي - مبادئ التواصل الشفوي كمبدأ التعاون بين المتحدثين - مفهوم الأدب في الحديث - أنواع الاستنتاجات المنطقية من الجمل كالإقتضاء والاستلزام - العلاقات بين الجمل واستراتيجيات بدء الحديث وانهاء الحديث مع الآخرين - أخذ الدور وغير ذلك من الظواهر.

من كل ما سبق نستخلص أن هناك خمس مكونات للغة :

الفونولوجيا - الصرف - النحو - الدلالة - الاستخدام الاجتماعي

هذه المكونات موجودة في كل اللغات ولا بد للفرد أن يكتسبها حتى يصبح قادراً على فهم واستعمال اللغة في أي مجتمع كان.

الفصل الأول : ماهية اللغة و عوامل اكتسابها عند الطفل

استعمالها وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلم ، مستعينين بتلك القدرة التي زودهم بها الله تعالى ، والتي تمكنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة و بمستوى رفيع¹

و يتم اكتساب اللغة خلال الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل حيث أثبتت الدراسات أن حاسة السمع محط استقبال المثيرات الصوتية تعمل قبل أن يولد الطفل فقد وجد أن الجنين في بطن أمه يبدي استجابة لبعض الأصوات ، و بخاصة صوت الأمّ وعندما يولد الطفل تولد معه القدرة على السمع ثم تتطور تدريجياً قدرته على النطق واستخدام اللغة و فهم الكلام لتكتمل مع نهاية عامه الخامس².

عموماً يعتبر اكتساب اللغة و تطورها من الموضوعات شديدة الأهمية في علم نفس النمو وعلم نفس اللغة، ونظراً لأن اللغة من أهم وسائل ربط الإنسان ببيئته الاجتماعية، فإن النمو اللغوي للطفل في السنوات الثلاث الأولى من عمره له أهمية بالغة في اكتساب العضوية في المجتمع.

• طرق ومناهج دراسة اللغة عند الطفل:

- طريقة الأساليب البيوغرافية :

وهي من أقدم الطرق التي استخدمها الباحثون في دراستهم لاكتساب اللغة عند الأطفال

حيث تعتمد إلى حد كبير على الملاحظة المباشرة دون استخدام الأدوات والأجهزة فهي

تدور حول اكتساب المفردات اللغوية منذ ظهور الكلمة الأولى عند الطفل إلى أن يصل إلى

حفلة أو عيد ميلاد من العام ١ إلى ٥ سنوات
[تتم ملاحظة مباشرة دون استخدام أدوات]

¹ - ابني مزينة بخاري ، مقالة البحث في علم النفس ، اكتساب اللغة ، قسم تعليم اللغة ، كليات الدراسات العليا ، جامعة مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ، مالانج ، 2013 ، ص 13

² - عبد الفتاح رجب مطر - اضطرابات النطق والكلام - جامعة الطائف - د.ط - د.ت - ص 02

عامه الرابع أو الخامس حينما يصبح محصوله اللغوي كثيراً بحيث يتعذر على الباحث القيام بملاحظته أو تتبعه .

الاطفال
- الطريقة الطولية : عدد كبير من الأطفال + وقت زمني طويل + انخفاض/لغوي واحد ومعايير واحدة

تعتمد على دراسة كبيرة نسبياً من الحالات تتبعها على مدى عمري طويل نسبياً أيضاً بدلاً

من الأساليب البيوغرافية التي كانت تقتصر غالباً على دراسة عدد محدود من الأطفال¹.

وتتماز هذه الطريقة الطولية عن الأساليب البيوغرافية بأن الطولية تجعل العينة ممثلة بقدر الإمكان

لأكبر عدد من الأطفال وتخضعهم أثناء الملاحظة لظروف واحدة تقريباً ، كما يلتزم الباحثون بمعايير

واحدة تطبق أيضاً على جميع الأطفال مما يجعل ملاحظتهم أكثر دقة وموضوعية .

- الطريقة المستعرضة :

تقوم على أساس أخذ عينات من الأطفال من أعمار مختلفة بحيث تعتبر كل مجموعة ذات

سن واحدة ممثلة للأطفال في هذا العمر وتتماز هذه الطريقة بسرعتها في الوصول إلى

النتائج².

المبحث الثاني : العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة

إن اللغة البشرية هي إحدى عجائب هذا العالم الطبيعي، ويمثل اكتساب اللغة أحد الموضوعات

المهمة في علم النفس اللغوي³ وتأتي أهمية اكتساب اللغة للأطفال باعتبارها العامل الحيوي والمهم

لعملية التفاعل والتواصل مع الآخرين، وباكتسابها يحدث تغير كبير في عالم الطفل، في ضوء ما يحوزه

¹ حلمي خليل ، اللغة و الطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 ، ص 32

² حلمي خليل ، المرجع السابق ، ص - ص 33-35

³ معمر نواف الهوارنة ، اكتساب اللغة عند الأطفال ، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010 ، ص 07 .

الفصل الأول : ماهية اللغة و عوامل اكتسابها عند الطفل

من تقدم عند حديثه مع الكبار، فاللغة وسيلة التعبير عن أفكارنا ومشاعرنا وذواتنا وقوميتنا¹.

لذلك، إن نمو ^{اللغة} كل عند الطفل كنموه الاجتماعي والعقلي والإنفعالي يتأثر بعوامل البيئة والوراثة، كما

أن النمو اللغوي ارتباطه قوي بأنواع النمو المختلفة المشار إليها.²

لما كانت الخبرة هي ثمرة التفاعل بين الفرد والبيئة، فإن الاختلاف الكبير بين الأطفال في سرعة تطور

اللغة دفع المشتغلين بالدراسات النفسية إلى تتبع مصادر هذه العوامل التي تؤثر في اكتساب اللغة³

ويمكن حصرها في مجموعتين رئيسيتين هما:

• مجموعة عوامل تكوينية (وراثية) أو فردية تنبع من ذات الطفل.

• مجموعة عوامل بيئية تنبع من إثارة الأفراد الآخرين المحيطين بالطفل.

1. العوامل الوراثية المؤثرة في اكتساب اللغة

● الجنس :

نلمس في سنوات ما قبل المدرسة أثر النمط الجنسي في حديث الأطفال فمن المتوقع أن يتكلم

الذكور أقل من الإناث وأن يختلف محتوى الحديث والطريقة التي يتحدثون بها.⁴

¹ المرجع نفسه، ص 07.

² عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، الرياض: عمدات شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، 1972، ص- 147.

³ معمر نواف الهوارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال، ص 55.

⁴ المرجع نفسه، ص 56.

و يلاحظ أن البنات أكثر تقدما من البنين (في عملية اكتساب اللغة) بسبب وفرة الوقت الذي تقضيه

البنات بجانب أمها أكثر من الذكور الذين ينصرفون إلى اللعب في خارج البيت في الأعم الأغلب.¹

في حين أن علماء النفس الاجتماعيين ينسبونها إلى فروق في الظروف الاجتماعية، ولقد وجد بعض

العلماء أن الأمهات يتحدثن مع بناتهن في سن الثانية أكثر مما يتحدثن إلى أبنائهن، كما أنهن

يشجعن البنات على التحدث أكثر مما يشجعن البنين. وتقوم الأمهات بذلك عن طريق الأسئلة

التي توجه من ناحيتهن، وعن طريق الإجابة على أسئلة الأطفال وتكرار الألفاظ التي ينطقون بها إلى

آخر ذلك من أشكال التفاعل اللغوي بين الأم وأطفالها، ولقد استنتج من ذلك أن أم البنات توفر

لبناتها بيئة لغوية أشد ثراء من تلك التي توفرها الأم للبنين. ولكن لما كانت العلاقة ارتباطية، فإن من

الصعب أن تستبعد احتمال وجود عامل آخر لتفسير هذه الظاهرة وهي أن الأطفال من البنات قد

يكن هن أنفسهن مشاركات أكثر إيجابية وأسرع استجابة من البنين مما يشجعه الأم على الإستمرار

في الحديث معهن مدة أطول / ويؤيد هذه الفرضية ما لاحظته علماء النفس البيولوجيين، من أن المخ

عند البنات ينضج في وقت مبكر عنه عند البنين وخاصة فيما يتعلق بمركز وظيفة الكلام في المنطقة

المسيطرة على هذه الوظيفة ذلك أن النضج اللحائي في هذه الحالة يساعد على الإسراع في إخراج

الأصوات وكذلك معدل اكتساب اللغة.²

وجهة نظر علماء النفس الاجتماعيين في سرعة البنات ما اكتساب اللغة

وجهة نظر علماء النفس البيولوجيين في سرعة البنات ما اكتساب اللغة

¹ محمود أحمد السيد، اللغة.. تدريسها واكتسابها، الرياض: دار الفصيل الثقافية، 1988، ص 43-44.

² معمر نواف الموارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال، ص 58-59.

● الذكاء :

الذكاء مصطلح يتضمن عادة الكثير من القدرات العقلية المتعلقة بالقدرة على التحليل والتخطيط، وحل المشاكل، وسرعة المحاكمات العقلية، كما يشمل القدرة على التفكير المجرد وجمع وتنسيق الأفكار، و التقاط اللغات، وسرعة التعلم. كما يتضمن أيضا حسب بعض العلماء القدرة على الإحساس وإبداء المشاعر وفهم مشاعر الآخرين¹ من المتفق عليه بين العلماء أن مفهوم الذكاء هو "القدرة على حل المشكلات، ويلاحظ أن الأطفال الذين يجيدون التعامل مع حل المشكلات وتناول المجردات هم الأطفال الذين لديهم قدرات لغوية وعددية عالية"².

تدل أبحاث بعض العلماء على أن الطفل العادي يبدأ الكلام حينما يبلغ من العمر 15 شهرا والقصد ببدء الكلام نطق الألفاظ بطريقة صحيحة وفهم معناها³، وعند ضعف العقول يتأخر الكلام حتى سن 34 شهرا وتدل أبحاث أخرى على أن الطفل الموهوب يبدأ الكلام حينما يبلغ عمره 11 شهرا والطفلة الموهوبة تبدأ كلامها حينما يبلغ عمرها 11 شهرا تقريبا ويرتبط المحصول اللفظي عند الأطفال ارتباطا عاليا بنسبة ذكائهم حتى أن بعض علماء النفس يتخذونه أساسا لقياس ذكاء الأطفال.

سرعة
أداء اللغة عند
الطفل أساس
لقياس ذكاء
الأطفال

الصفات اللغوية
مقياس مهم
لمعرفة
نسبة
الذكاء

تأسيساً عما تقدم اعتبرت المهارات اللغوية مقياساً مهماً لمعرفة نسبة الذكاء، وإن للذكاء دوراً هاماً ليس فقط في بدء عملية الكلام عند الأطفال، وإنما يلعب الدور الأكبر في عمليات

¹ <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B0%D9%83%D8%A7%D8%A1>

² <http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/240882.html>

³ عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، ص 150.

الفصل الأول : ماهية اللغة و عوامل اكتسابها عند الطفل

اكتساب اللغة عند الأطفال من خلال التفاعل المستمر للطفل مع البيئة الاجتماعية والثقافية المحيطة به¹. ويؤثر الذكاء على النمو اللغوي إذ يلاحظ أن اللغة تعتبر مظهراً من مظاهر نمو

القدرة العقلية العامة وأن الطفل (الذكي) يتكلم مبكراً عن الطفل (الغبّي) ويرتبط التأخر اللغوي

الشديد بالضعف العقلي²

تطور مناطق الدماغ الخاصة بالكلام

• النضج والعمر الزمني:

تعتمد عملية اكتساب اللغة إلى حد كبير على (النضج البيولوجي) حيث تتطلب (التطور الملائم

لمناطق الدماغ الخاصة بالكلام، والتي تتحكم بالآليات ربط الأصوات والأفكار، وإنتاج الكلام

الذي يتطلب تناسقا معقدا إلى حد كبير بين حركات التنفس، وحركات الشفاه، واللسان، والفم

والأوتار الصوتية، ومناطق الدماغ المهمة للكلام واللغة لا تكون متطورة بشكل جيد عند الولادة

ومناطق الدماغ الخاصة بالكلام (في فصوص الدماغ الأمامية والصدغية) من جملة أجزاء الدماغ

التي الأبطأ نضجا من غيرها من أجزاء الدماغ الأخرى والطفل الذي يتطور لديه مناطق الدماغ المهمة

للكلام واللغة قبل غيره من الأطفال الآخرين فإنه يتفوق عليهم في اكتساب اللغة³.

ودلت (الدراسات) على أن الطفل الذي تتطور لديه مناطق الدماغ المهمة للكلام واللغة قبل غيره

من الأطفال الآخرين، فإنه يتفوق عليهم في اكتساب اللغة ويستند هذا العامل إلى الطبيعة

هذا مرتبط بالتطور لنهار
عند الطفل فكل
تطور ينعكس في زيادة
القدرة والمهارات
التي تناسب كل
مرحلة عمرية

¹ <http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/240882.html>

² <http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=11>

³ معمر نواف الموسارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال، ص 64.

المتضمنة عملية التطور النمائي في حد ذاتها، أن كل تطور ينعكس بالضرورة في زيادة القدرات

والمهارات المختلفة بحيث تتناسب مع كل مرحلة عمرية.¹

وتزداد الحصيلة اللغوية كلما كبر الطفل في السن، فنمو الطفل يتوافق مع نمو المدركات الحسية + النمو العقلي

ونمو الحركات الكلامية، كذلك يزداد نمو العقلي ويزداد خبرات الطفل وقدراته على التقليد، فقد ^{الخبيرات}

أشارت إحدى الدراسات إلى أن لغة الأطفال تتغير كميًا من حيث أطوالها، فيتنقل الطفل من المرحلة المعقدة

استعمال كلمة واحدة إلى استعمال جملة بسيطة وتزداد طول الجملة بتقدمه في العمر.

فستطيع القول بأن النضج هو الذي يحدد معدل التقدم، ويلعب العمر الزمني للطفل دوراً

أساسيا في اكتسابه اللغة، ويمكن تلخيص أهم ما توصلت إليه الدراسات في هذا المجال على

النحو التالي :

1. ازدياد حديث الأطفال كلما تقدموا بالعمر.
2. ازدياد عدد الكلمات التي يستخدمها الأطفال بازدياد العمر.
3. بقاء وضعية المحصول اللغوي للأطفال في السنتين الأوليتين، ثم الإسراع فيما بعد نظرا لعمر الطفل وتقدم نموه في النواحي الأخرى.
4. كلما تقدم الطفل في العمر يزداد طول الجملة لديه، وينتقل من الجملة البسيطة إلى الجملة المعقدة.

5. وجود علاقة بين نمو المفاهيم عامة وتقدم الطفل في العمر.

• الوضع الصحي والجسمي للفرد:

تتأثر ^{تربط} مهارة اكتساب اللغة بسلامة الأجهزة الحسية السمعية والبصرية والنطقية للفرد فكما كان الطفل أكثر حيوية ونشاطاً وأكثر سلامة في النمو الجسمي والصحة العامة كلما كان أكثر قدرة على الإكمال بما يدور حوله، فالنشاط يساعد على اكتساب اللغة، هذا بعكس الطفل الذي تكون صحته متدهورة ونشاطاً محدوداً.

يرتبط مدى التأخر اللغوي عند الطفل بنوع المرض الذي يصاب به. فمن المسلم به أن الأمراض التي تتصل من قريب بعملية الكلام تؤثر تأثيراً قوياً في التأخر اللغوي. ولهذا فالصمم الكلي أو الجزئي يحول بين الطفل وبين التقليد الصحيح للألفاظ والعبارات التي يستخدمها في حياته اليومية، ولا يكاد يستبين مخارجها.¹

• عامل العنصر "السلالة":

كشفت نتائج الدراسات القليلة التي حاولت التصدي لمقارنة التطور اللغوي للأطفال الذين ينتمون لمختلف الأجناس أو الجنسيات عن نتائج متناقضة إلى حد ما، فبينما بينت نتائج بعض تلك الدراسات تفوق الطفل الأبيض على الطفل الزنجي في مختلف جوانب التطور اللغوي، لم تكشف نتائج دراسات أخرى عن وجود فروق بين أطفال الزنوج وأطفال البيض بالولايات المتحدة الأمريكية إلا أن الشيء الهام الذي كشفت عنه تلك الدراسات هو وجود نفس التطورات النمائية لدى الأطفال في مختلف الدول بصرف النظر عن العنصر أو الجنسية التي

¹ عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، ص 152

ينتمي لها الطفل واللغة التي يتعلمها، فقد لوحظ ثبات نظام تنافس المراحل (sequent of stages) التي يمر بها اكتساب اللغة لدى الأطفال في السويد والنرويج والدانمرك ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتي وبولندا واليابان وغيرها من الدول التي أجريت فيها دراسات للتطور اللغوي ومما يزيد من أهمية هذه النتائج ودلالاتها اختلاف نموذج الحضارة التي ينشأ فيها الطفل، واللغة التي يتعلمها في هذه المجتمعات.¹

• الرغبة في التواصل:

يمثل التواصل عاملا هاما من العوامل التي تؤثر في اكتساب اللغة الثانية والأولى أيضا بل نغالي إذا قلنا أنه ربما كان أهم العوامل جميعا، فإذا كانت اللغة تؤدي وظائف عديدة، فإن أهم هذه الوظائف هو التواصل مع الآخرين والحديث معهم وعن طريق هذا التواصل يتم اكتسابها لدي متعلمي اللغة الأولى والثانية، فعن طريق التواصل يتم تبادل التراكيب والمفردات داخل الأنماط التنغيمية وداخل ثقافة المجتمع.²

أهمية التواصل

الطفل الذي تكون رغبته في التواصل مع الآخرين قوية يزداد لديه الدافع لتعلم اللغة والوقت الذي يقضيه في التحدث مع الآخرين، كما يزداد الجهد الذي يبذله في تعلم اللغة، وذلك بقدر أكبر مما يحدث لدى الطفل الذي لا تتوافر لديه مثل هذه الرغبة في التواصل.

يعد التواصل أكثر الرغبات التي تدفع الطفل مع الآخرين (فيزداد عنده الدافع لتعلم اللغة، ويجب الوقت الذي يقضيه في التحدث مع الآخرين)، فنلاحظ أن طفل العائلة كبيرة الأفراد (أصغرهم)

¹ معمر نواف الحوارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال، ص 69.

² جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، دون سنة، ص 129

يتواصل معهم بالحديث والتقليد فيساعده على تعلم اللغة أكثر من طفل لا يتواصل مع الآخرين
أو يكون متواجدا بأسرة قليلة العدد ولا تتكلم كثيراً معه، فيفتقد لتعلم اللغة مثل الطفل الآخر.¹

● الشخصية:

يؤثر على اكتساب اللغة

لطفل الذي لا يتمتع بتكيف نفسي سليم (يعتبر الكلام) على الأغلب مؤشراً لصحة الطفل

والعقلية والطفل الذي يتمتع بشخصية متكيفة يميل إلى التحدث بشكل أفضل نوعاً وكماً.

إن الحالة النفسية للطفل تؤثر تأثيراً كبيراً في الأداء اللغوي له، فالخوف والقلق وحالة الحرمان

والجوع العاطفي والصراعات الأسرية تؤدي إلى جو متوتر، وبالتالي إلى الشعور بعدم الأمان وإلى

اضطرابه، فالحالة النفسية التي تنتاب الطفل تؤثر في سائر الوظائف الحيوية بصفة عامة والأداء

اللغوي بصفته خاصة.

2 العوامل البيئية المؤثرة في اكتساب اللغة:

إن دور العوامل البيئية وأثرها على اكتساب اللغة غاية في الأهمية، حيث تلعب دوراً أساسياً في تحديد

الأداء اللغوي لدى الطفل، فكلما كانت البيئة الأسرية والثقافية غنية كلما زاد الأداء اللغوي للطفل.

● المستوى الاقتصادي والاجتماعي:

هناك أدلة متعددة وكثيرة على وجود علاقة قوية وواضحة ووثيقة بين المستوى الاجتماعي

والاقتصادي لأسرة الطفل وأدائه اللغوي. فقد أكدت نتائج هذه الدراسات أن الطفل الذي

¹ <http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/240882.html>

ينتمي للمستويات الأعلى لا يستخدم فقط جملاً أكثر طويلاً لكنه يستخدم كذلك جملاً أكثر نضجاً وتطوراً وأنه يستخدمها عند أعمار تقل بكثير عن قرينه الذي ينتمي للمستويات الدنيا.¹ فالأطفال الذين يأتون من مستويات منخفضة أقل في الحديث، وفي النطق، وفي كمية الكلام وفي الدقة اللغوية إلى جانب ذلك تؤكد الدراسات وجود ارتباط بين غزارة الحصول اللفظي والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة.² فـ أطفال البيئات الاجتماعية والاقتصادية العالية يتكلمون أفضل وأسرع وأدق من البيئات الدنيا، لأنهم ينشأون في بيئة مجهزة بوسائل الترفيه.³

• المستوى الثقافي :

جريدة - مجلة - كتب - أجهزة - إعلام - ترفيه - مناقشة - علمية

فهناك البيئة الغنية بالمشيرات الثقافية، وهناك البيئة الفقيرة بالمشيرات الثقافية، فالبيئة الأولى تلك البيئة الغنية التي تتوفر فيها المجلات والجرائد والكتب وأجهزة الإعلام والترفيه والمناقشات العلمية والثقافية بين أفراد الأسرة، أما البيئة الثانية فهي البيئة المحرومة من هذه المشيرات، ومما لا شك فيه أن معيشة الطفل في بيئة من النوع الأول تسهم بدرجة كبيرة في اكتساب اللغة.

فـ الأسرة المثقفة والغنية بتراتها تساعد على نمو مفردات الطفل اللغوية بصورة أفضل من البيئة الفقيرة، كما أن البيئة الغنية بثقافتها تجعل طفلها يفهم عدداً أكبر من الكلمات ويستطيع أن

¹ معمر نواف الموارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال ، ص 71.

² المرجع نفسه ، ص 72.

³ المرجع نفسه، ص 74.

يعبر لغويا عما يريد أن يقوم به من أفعال، بينما البيئة الفقيرة ثقافيا تزيد لدى الطفل من أفعاله وحركاته وتكون كلماته أقل.¹

● حجم الأسرة: كيف يؤثر حجم الأسرة على اكتساب اللغة ؟

يؤثر حجم الأسرة على اكتساب اللغة لدى الأطفال، حيث يشجع الطفل الوحيد على الكلام أكثر من الطفل الذي ينتمي إلى عائلة كبيرة الحجم، وغالبا ما يتسع وقت الآباء للتحدث مع طفلهم الوحيد/أما العائلات الكبيرة فغالبا ما يسيطر على جوها التسلطية وتحد من كلام الطفل فهو لا يستطيع أن يتكلم وفقا لرغبته في الكلام.

● تعدد اللغة :

يعتمد الطفل في مراحل الطفولة الأولى إلى تقليد لغة الآخرين ، فتؤثر اللغات التي يتعلمها الطفل من بعض الأصدقاء وكذلك بعض الإصدقاء وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة في اكتساب لغته¹ فحينما يتكلم الطفل لغتين نتيجة لاختلاف لغة البيت عن لغة الأصدقاء أو أطفال الجيران أو عن لغة المدرسة، أو حينما يضطر إلى تعلم لغة أجنبية في الوقت الذي لا يزال يتعلم لغته الأم² ، ولعل أهم ما كشفت عنه الدراسات التي تصدت لدراسة أثر تعلم لغتين في نفس الوقت على التطور اللغوي للطفل من نتائج ما يلي:

تتعدد أو أثر تعلم لغتين على التطور اللغوي:
تتعدد تعلم لغتين :

¹ المرجع نفسه، ص 76.

² معمر نواف الهوارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال ، ص 84.

1- يكون التطور اللغوي للأطفال الذين يتعلمون لغتين في نفس الوقت (متأخراً) عنه لدى الأطفال الذين يتعلمون لغة واحدة.

2- تزداد نسبة من يعانون من مشكلات لغوية كالفلغم وغيرها بين الأطفال الذين يتعلمون أكثر من لغة عنها بين الأطفال العادين .

3- يفضل إدخال اللغة (الثانية) بعد تحطّي المرحلة الحرجة في التطور اللغوي للطفل أي بعد تحطّي سن عام ونصف، لأن الآثار السيئة لإدخال اللغة الثانية تزداد عند الأعمار الحرجة التي تكتسب عندها اللغة الأولى .

4- في حالة تعلم الطفل لغتين في نفس الوقت (يفضل) أن يسمع الطفل كل لغة باستمرار من مصدر واحد مختلف عن مصدر تعلم اللغة الأخرى، يتلقّى اللغة الأولى على الدوام من الأب واللغة الثانية على الدوام من الأم .

5- استخدام كل لغة في أوقات تختلف عن الأوقات التي تستخدم فيها اللغة الأخرى في التحدث مع الطفل أو في ظروف مختلفة.

• الحرمان العاطفي: ^{مصدر} غياب الوالد / نقص الرعاية والاهتمام والعلم

إن الأطفال الذين ينشأون في البيئات المحرومة هم أكثر المجموعات تأخراً في تطوّرهم اللغوي، كما

بينت الدراسات أن التطور اللغوي لهؤلاء الأطفال بكافة جوانبه وأبعاده يتأثر تأثيراً بالغاً بهذا

النوع من البيئات ، وكذلك تشجيع الآخرين (وعطفهم) لهما أثر كبير في سرعة اكتساب اللغة فإذا انتفى العطف والتشجيع أدى ذلك إلى تأخر الطفل لا بل إلى تعثره¹.

فيمكن إرجاع سبب التأخر في اكتساب اللغة لدى الأطفال إلى طبيعة البيئة في هذه المؤسسات، فغياب الوالدين، ونقص فرص الرعاية والاهتمام والتعلم، يؤثر تأثيراً كبيراً على لغة الطفل، وربما نستطيع القول بأنه كلما ازداد زمن الحرمان كلما ازداد التأخر في اكتساب اللغة بشكل خاص، و التأخر في جميع الجوانب الأخرى بشكل عام.

● نمط الحياة الأسرية والتفاعل بين الطفل والوالدين:

كشفت بعض الدراسات أن هناك أنماطاً للحياة الأسرية والتفاعل المتبادل بين الطفل والأسرة تساعد على تطوره اللغوي، بينما لا تساعد أنماط أخرى على ذلك، وقد أشارت تلك الدراسات إلى أن اكتساب اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً (بحجم) لتفاعل الاجتماعي بين الطفل والوالدين فالأسرة التي تحرص على قضاء فترات طويلة مع أطفالها وتبادل الآراء والمناقشات معهم وإشراك الطفل في تلك المناقشات تساعد على التطور اللغوي للطفل بكافة أبعاده وجوانبه.

فالأطفال الذين ينتمون إلى جو يسوده الودّ والتسامح والمرونة والتفاعل يتحدثون أكثر من الأطفال الذين ينتمون إلى جو يسوده التسلط، فمثلاً هؤلاء الآباء يعتقدون أن الطفل ينبغي أن يرى ولا يسمع.

¹ محمود أحمد السيد، اللغة... تدريساً واكتساباً، الرياض: دار الفيلسوف الثقافية، 1988، ص 44

الفصل الأول : ماهية اللغة و عوامل اكتسابها عند الطفل

وتؤثر العلاقة بين الطفل وأمه في تطوره اللغوي، إذا كانت العلاقة سوية أدت إلى تطور سوي وإذا كانت العلاقة مضطربة أدت إلى تطور مضطرب .

فالملاحظ أن الحياة الأسرية وتفاعل الطفل مع الوالدين له تأثير في اكتساب الطفل اللغة، لأن الطفل في عملية تواصلية وتفاعلية مستمرة مع المحيط اللفظي الذي يعيش فيه، فإذا كان هذا المحيط سوي كان تطوره اللغوي سويًا، وإذا كان هذا المحيط اللفظي غير سوي ولا يحتوي على التفاعل مع الطفل كان تطوره اللغوي مضطرباً.¹

• وسائل الاعلام :

إن أجهزة الإعلام بالمعنى العام تشمل كل ما يتخذ للإرسال واستقبال الرسائل والمعلومات والخبرات عبر مسافات بواسطة الإشارات الضوئية والصوتية ومن أبرزها التلفاز، الراديو، الحاسوب، الذي يعد أهم الوسائل للاتصال الاجتماعي غير المباشر.

• الالتحاق بالروضة

تلعب خبرات الطفل والمؤثرات التي يتعرض لها دوراً مهماً في زيادة ثروته اللغوية واتساع مدركاته، كما أن الخبرات و الفرص التي تنهياً للأطفال قبل دخول المدرسة الابتدائية تساهم في تطور لغتهم، وزيادة مفرداتهم بالإضافة إلى إسهامها في رفع مستوى تحصيلهم الدراسي وأكدت نتائج الدراسات التي أجريت في هذا المجال أهمية دور الحضانة ورياض الأطفال في إنماء خبرات الطفل واكتسابه مفردات جديدة، وقامت دراسات عديدة في المجتمع العربي لمعرفة أثر الالتحاق برياض

¹ معمر نواف الموارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال ، ص 80

الأطفال على اكتساب اللغة، وأجمعت كل هذه الدراسات أن دخول الأطفال في الروضة له تأثير على إغناء ثرواتهم اللغوية.¹

وأوضحت دراسة، بأن هناك علاقة إيجابية بين الالتحاق بالروضة وبين نسبة الذكاء، وهذا يؤثر على الأداء اللغوي للطفل. وتؤثر الروضة بشكل سلبى أحيانا على الأداء اللغوي، فالروضات التي يزداد فيها عدد الأطفال للمدرسة الواحدة وتقل فيها التنبيهات الضرورية، وينعدم التفاعل الاجتماعي بين الطفل والمدرسة، تحدث تخلفا في لغة الطفل.²

• التحوار مع الطفل خلال اللعب:

إن تسمية الأشياء للطفل غير كافية، إذ يجب على الوالدين أن يشاركا ابنهما في اللعب فالكلام الذي يستعمله الوالدان خلال اللعب هو كلام سهل مكون من جمل قصيرة واضحة وقرينة جدا من قدرة الاستيعاب عند الطفل، إضافة إلى هذا فالكلام خلال اللعب يسمح للطفل أن يدرك الربط بين الشيء والظرف المحيط به، مما يساعد لاحقا على استخدام هذه الظروف نفسها كمرجعية لتفهم معنى الكلمات ولإدخال كلمات جديدة تتلاءم مع الظرف نفسه.

فاللعب القائم على الإتصال والتفاعل بين الأطفال والراشدين يتيح لهم الفرصة للتعرض لمؤثرات لغوية وللتعبير اللفظي واستخدام كلمات جديدة وهامة في تطور اكتساب اللغة، ولعل اللعب من أفضل الأنشطة لملاحظة كيف تتطور قدرة الطفل على التحدث، والاستماع في هذه المرحلة.

التعلم باللعب

¹ المرجع نفسه، ص - ص 92، 93

² المرجع نفسه، ص 93

• القراءة للطفل:

إن العديد من الدراسات تشير إلى أن الأطفال الذين يتعرضون للقراءة مع الأهل منذ الصغر ينطقون بشكل أسرع، وتكون جملهم أطول، وأكثر تعقيدا من جمل الأطفال الذين لم يخضعوا لمثل هذه التجربة. المهم هنا أن عملية القراءة هذه يجب أن تكون ناشطة، وأن تهدف إلى حث الطفل على طرح الأسئلة حول ما يراه أمامه من صور والأوان وأشكال، وما نغنيه هو أنه يجب أن يكون الطفل مشاركا فعلا بدلا من أن يكون مجرد مستمع مستقبل للمعلومات فكلما استجاب الأهل لأسئلة الطفل، ازدادت وتعددت مفرداته، ولكن يجب التذكير هنا بأهمية التأكد من أن اكتساب كل هذه الكلمات الجديدة يتلاءم مع قدرة الاستيعاب عند الطفل، فلا ينفع أن نخشو رأس الطفل بعدد هائل من المفردات من دون أن يكون استوعب معناها، وربطها بظروف معينة تساعد على ترسيخها في ذاكرته لمدة بعيدة¹

• تسمية الأشياء وتشجيع الطفل على استعمال الكلمات الصحيحة:

عندما يحرص الوالدان على تسمية كل شيء يقع هنا انتباه الطفل، أو كل شيء يتفاعل معه الطفل في المحيط، يصبح أكثر انتباها لهذا الشيء، وبالتالي تصبح عملية قرن الشيء باسمه أسهل. ويأتي هذا التشجيع من خلال الحفز الإيجابي من قبل الأهل لكل الكلمات التي ينطقها الطفل بالشكل السليم، وعندما تتميز الكلمة بقسمة وظيفية فعلية يعبر الطفل من خلالها عن احتياجاته أو مشاعره. إن هذا التشجيع يكون تلقائيا ضمن التبادل الكلامي اليومي في حياة

¹ معمر نواف الموارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال، ص 95

الطفل، مثل الأم التي تعطي كوب الماء لطفلها عندما ينطق كلمة (ماء) ولا تستجيب له عندما

يقول (مبو) في هذا الإطار ينصح الخبراء الأهل بأن لا يستجيبوا لمطالب الطفل عندما يلجأ

هذا الأخير للإشارة، بل أن يشجعوه على التعبير عن احتياجاته مستخدماً الإصدارات الصوتية

في البدء ولاحقاً الكلمة الصحيحة للشيء الذي يريد¹.

• السلوك المضاد:

ببالتحديد بعض الآباء في تدريب أطفالهم على الكلام في سن مبكرة وذلك قبل وصولهم إلى مراحل

النمو المناسبة لتعلم الخبرة الجديدة. وقد يفشل الطفل في إرضاء والديه لعدم وصوله إلى النضج

الكافي، وقد يكسبه هذا الفشل ثورة على الكلام، وعلى كل ما يتصل به فيحجم عن التكلم

حينما يصل به نموه إلى المستوى المناسب لأداء هذا السلوك، وهو في إحجامه هذا يسلك سلوكاً

عكسياً مضاداً، وقد يتطور معه هذا الإحجام بعد نضج تطوره اللغوي إلى اتجاه خاص في سلوكه

اللفظي يؤدي به إلى تجنب الحوار تجنباً واضحاً².

¹ المرجع السابق ، ص 96 - 97

² عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي ، ص 152

(*) الباحات هي مناطق في قشرة المخ وكل باحة تكون مسؤولة على وظيفة حسية أو إدراكية أو لغوية معينة.

(**) الترميز: هو عملية ذهنية تقوم بتحويل الصورة اللفظية لمعلومة تلتقط عن طريق الحواس إلى رموز.

• آليات اكتساب اللغة عند الطفل :

لا بد من توفر عدة آليات و أسس حتى يتمكن الطفل من اكتساب لغة الأم أو التلميذ من

اكتساب اللغة الفصحى أو الأجنبية ، و هذه الآليات تتمثل في :

أ- القدرة على الكلام : و يقصد به سلامة ^١ المخ و ^٢ الجهاز العصبي و ^٣ الحواس ^٤ المسؤولة عن

نقل الوسائل الحسية و تلقي الاجابة ، مع نمو الباحات (*) الخاصة بالحواس واللغة في

المخ ، التي تعمل على الترميز (**) و فك الترميز اللغوي ، بطرق متعددة و دقيقة جدا

، و نمو القدرة اللغوية لدى الطفل تمر على مراحل سيتم ذكرها في المبحث الموالي .

ب- معرفة الكلام : المنطلق يكون من معاش الطفل فيكون حسب كمية وتنوع الظروف

التي يعيشها إضافة إلى طبيعة الأحاسيس التي يشعر بها أثناء تجارب سعيدة أو محزنة
وذلك يكون عن طريق إدراك جميع المعاني مع الحركية بصفة عامة، فمن معاشه

يستخلص المعاني، و المعرفة التي يكتسبها عن نفسه أولاً ثم عن الأشخاص والعالم المحيط

به وتكتمل المعرفة الكلامية لدى الطفل إذا تمت لديه بشكل سليم بعض المفاهيم

المتتملة في الجاذبية ، المخطط الجسدي ، المكان ، الزمان .
الارادة في الكلام

ت- الارادة في الكلام : تكون على مستوى التواصل و ترتبط بالجانب العاطفي والعواطف

المكتسبة نتيجة معاش الطفل ، أي طبيعة و نوعية الظروف السابقة وطبيعة الظروف

المخاضرة ، فالمعاش العاطفي للطفل يدخل في الوضعية المخاضرة فيسمح بحريته و دفعه للكلام أو العكس لذا فالتعلم الجيد لا بد أن يفعل في حركة و في عواطف إيجابية.¹



¹ - بلقاسم جهاب ، ألهاث اكتساب اللغة و تعلمها ، جامعة محمد يوسف ، ص 106-107

أولاً: اكتساب الأصوات:

ذكرت من قبل أن الصوت اللغوي يحدث نتيجة دفع الجهاز التنفسي للهواء إلى الخارج عبر القصبة الهوائية، ثم مروره بالحنجرة التي تصدر الصوت الأساس الذي يتشكل - فيما بعد - في التجاويف الفموية والأنفية وما تحويه من أعضاء النطق المختلفة.

وهذه العملية الصوتية هي الصورة التي تحدث للكبار، لكنها لا تحدث للأطفال الصغار بهذه الصورة فجأة، ولا تكتمل في الأسابيع الأولى ولا في الأشهر الأولى من ولادتهم، وإنما تنمو تدريجياً، وربما تتداخل مراحلها مع المراحل الأولى لاكتساب العناصر اللغوية الأخرى من صيغ وتراكيب ومفردات. وبالرغم من ذلك، يمكن التمييز بين عدد من مراحل اكتساب الأصوات؛ منها مرحلتان أساسيتان، وهما: مرحلة الصراخ، ومرحلة المناغاة، ومراحل أخرى مكتملة.

١- مرحلة الصراخ Vocalizing Stage:

يبدأ إنتاج الصوت لدى الطفل منذ اللحظة الأولى لولادته حين يصرخ بعد خروجه من بطن أمه مباشرة؛ نتيجة دخول الهواء إلى رئتيه، ومحاولته التخلص من هذا الهواء الجديد الغريب، أو تعبيراً عن دهشته لهذا العالم المضطرب الصاحب الذي لم يعهده من قبل عندما كان في بطن أمه آمناً مطمئناً ومعزولاً عن هذا العالم. وهذه العملية هي بداية ما يعرف بمرحلة الصراخ^(١)، وتختلف درجتها من طفل لآخر، حسب درجة صحته، وقوة تنفسه، وطبيعة حباله الصوتية، وتبدأ هذه المرحلة من اللحظة الأولى للولادة، وتنتهي في الشهر الرابع أو الخامس، وقد تصل إلى الشهر السادس^(٢).

والطفل في هذه المرحلة يصدر أصواتاً من مخارج الكلام المعهودة عند الكبار بصورة غير مستقلة ولا تحمل معاني واضحة، ولا تعد أصواتاً لغوية متميزة. فيصدر أصواتاً تسمع في أثناء البكاء أو الهمهمة التي تشبه هديل الحمام، أو ترافق الغرغرة، أو تظهر في هيئة نفخ وشفط وبصق وصفير ونحو ذلك^(٣).

وعلى الرغم من أن هذه الأصوات غير لغوية ولا مفهومة في هذه المرحلة، فإن المرحلة نفسها مهمة لأنها مرحلة تأسيس وبناء. إذ يتدرب الطفل في أثناءها على تحريك أعضاء النطق، والتحكم فيها، والسيطرة عليها؛ لتكون جاهزة للعمل والإنتاج عند الحاجة إليها في مرحلة اللغة الحقيقية، وبخاصة السيطرة على

خروج الهواء ودخوله في عملية التنفس، وتحريك أعضاء النطق، وكيفية الاستفادة منه في إحداث الأصوات وتشكيلها^(١).

والأصوات في هذه المرحلة مشتركة بين الأطفال مهما اختلفت لغاتهم الأم وتنوعت بيئاتهم، بل إن الأطفال الصم ينتجون هذه الأصوات كما ينتجها الأسوياء، ما لم يكن الأصم مصاباً بعيوب نطقية خلقية، لكن الصم يتوقفون في هذه المرحلة ولا يتعدونها إلى المرحلة التالية، وهي مرحلة المناغاة^(٢).

ومن الباحثين من يقسم هذه المرحلة إلى مرحلتين: مرحلة الصراخ، ومرحلة الأصوات الانفعالية. فالأولى تمثل الصراخ الأولي التدريبي، والثانية تمثل المرحلة التي يستخدم الطفل فيها صراخه للتعبير عن انفعالاته المختلفة؛ كالفرح والحزن والجوع والعطش والألم والضيق ونحو ذلك. وقد حاول بعض العلماء تحديد نوع الانفعال وربطه بطبيعة الصرخة^(٣).

٢- مرحلة المناغاة Babbling Stage:

تبدأ مرحلة المناغاة بإصدار الطفل سلسلة منتظمة من الأصوات المبتورة أو المتتابعة، وتظهر على هيئة مقاطع متماثلة. وتتكون إما من صائتين VV، مثل: آآ وو، يي، أو من صامت فصائ CV، مثل: با، بي، ما، مي، قي، كي...

ويبدو أن نطق الصوائت^(١) أيسر للطفل في هذه المرحلة من نطق الصوامت؛ لأن الأولى محدودة العدد وتخرج من غير عوائق تذكر كتلك التي تحدث للثانية، وقد ينطق أصواتاً حنجرية تشبه صوت الهمزة.

وقد لوحظ أن الطفل يبدأ نطق الصوامت تدريجياً ابتداء من آخر نقطة أو عضو من أعضاء النطق؛ فيبدأ بنطق الصوامت الشفوية كالباء، نحو: (با) و(ما) فاللثوية كالبدال، نحو: (دا) .. وهكذا حتى يصل إلى الأصوات الطبقية فالحلقية^(٢)، وقد تتكرر هذه المقاطع، نحو: (بابابا) و(ماماما) و(دادادا). لكنه يؤخر الصفات الثانوية للأصوات، كالإطباق (ص، ض، ط، ظ) الذي لا يكتسب إلا في مرحلة لاحقة، وقد يؤخر جهر بعض الأصوات أو يخلط بينها، خاصة بين صوتي [f] [v] في اللغات التي تتضمن هذين الصوتين كالإنجليزية مثلاً.

وقد لوحظ أيضاً أن الأطفال في هذه المرحلة يدركون النبر والتنغيم وغيرهما، وبخاصة في اللغات النبرية كالإنجليزية مثلاً؛ مما يرجح أنهم يصدرون أصواتاً تتضمن هذه الظواهر للدلالة على معان معينة، أو للتعبير عن انفعالات معينة، وإن لم تظهر بصورة واضحة^(٣).

أما من حيث المعنى فقد يكون لهذه الأصوات دلالات حقيقية في ذهن الطفل؛ كأن تعني (با) بابا، أو باب، و(ما) ماما أو ماء، و(دا) دادا أو داد^(١)، أو نحو ذلك مما يرغب فيه الطفل أو يكرهه، خاصة عندما يرافق هذا النطق بكاء أو فرح أو ابتسامة أو تنغيم أو نظرة أو غير ذلك مما يدل على طلب أو نفي أو رفض. وغالباً ما تكون لهذه الألفاظ دلالات عاطفية وهمية في نفس الأم فقط، وذلك عندما تفسر أصوات طفلها في هذه المرحلة بمعان في نفسها تعبيراً عن فرحها بنطق طفلها، وربما لا يقصدها الطفل في الواقع.

وتبدأ هذه المرحلة من الشهر الرابع أو الخامس أو السادس - كما ذكرت من قبل - وتنتهي في الشهر العاشر أو الحادي عشر، وربما تستمر حتى نهاية السنة الأولى. وتنمو خلال هذه المدة نمواً متدرجاً؛ فتبدأ بأصوات ومقاطع محدودة لا معاني واضحة لها، وتنتهي بأصوات ومقاطع متعددة تشبه الكلمات، وربما تدل على معان مفهومة لكنها محدودة.

وقد أثبتت دراسات اكتساب اللغة أن الأطفال في مرحلة المناغاة يصدرون أصواتاً غير موجودة في لغة بيئتهم أو اللغة التي يتعرضون لها^(٢). فقد تبين من نتائج بعض الدراسات في اللغة الإنجليزية أن الأطفال الأمريكيين في هذه المرحلة يصدرون أصواتاً ليست من أصوات اللغة الإنجليزية، كالصوت الطبقي الاحتكاكي [x] الذي يشبه صوت الخاء في العربية، ثم يختفي هذا الصوت في

المراحل التالية، وربما لا يعود أبداً ما لم يتعلم الطفل لغة أخرى تتضمن هذا الصوت كالعربية والألمانية.

وتبين من بعض الدراسات أيضاً أن أصواتاً معينة تشيع في لغة الأطفال في هذه المرحلة، مهما كانت لغاتهم الأم؛ إذ يميل الأطفال إلى إصدار بعض الأصوات الأنفية كالميم، وبعض الأصوات الانفجارية، وصوت الهاء، وأن أصواتاً معينة لا تنطق في هذه المرحلة إلا نادراً؛ كـبعض الأصوات الاحتكاكية [ش]، وبعض الأصوات المائعة [ن]. وتبين أيضاً أن الأصوات الانفجارية المجهورة [د] أكثر استعمالاً من الانفجارية المهموسة [ت] لدى الأطفال في هذه المرحلة^(١).

وتظهر في هذه المرحلة بداية اللغة المعروفة بالـjargon، وهي لغة خاصة بالطفل في تعامله مع أمه أو حاضنته، ومرتبطة ببيئة معينة، نحو: كخ، وبح، وأح، ونحو ذلك^(٢).

ومن سمات النمو في اكتساب الأصوات التي تميز بين بداية اكتساب الأصوات ونهايتها أن الأطفال - في نهاية هذه المرحلة - يقللون من استعمالهم لأصوات معينة كانت شائعة في بداية نطقهم، وبخاصة الأصوات الخلفية، والأصوات الطباقية الانفجارية. ويبدو أن الإقلال من هذه الأصوات يمهد لنطق الكلمة الواحدة؛ حيث يميل الأطفال إلى استعمال عدد معين من الأصوات ذات

السمات المتشابهة في كلمة واحدة. فقد لوحظ أن الأطفال في بداية نطقهم الكلمة الواحدة يستعملون كلمات تحوي أصواتاً أمامية انفجارية مهموسة، وأصواتاً أنفية، إضافة إلى الصوت الصائت [a]. ومن المعروف أن تجميع الأصوات المتشابهة في نطق الكلمة بهذه الصورة لا يشبه لغة الكبار؛ وهذا ما يفسر سرعة تجاوز الأطفال لهذا الأسلوب إلى المرحلة التالية وهي نطق الكلمة الواحدة one-word stage نطقاً واعياً لمبناها ومعناها.

أما المراحل التالية لهاتين المرحلتين الرئيسيتين فتتمثل في التدرج في نطق أصوات تتميز بخصائص أو صعوبات معينة أو صفات ثانوية. وتفيد أولى الدراسات في اللغة العربية⁽¹⁾ على أن الطفل العربي يسيطر على الحركات الطويلة الثلاث (الألف والواو والياء) في نهاية السنة الثانية من عمره. أما الصوامت فقد أمكن تقسيم اكتسابها إلى ثلاث مراحل. فالمرحلة الأولى منها تبدأ في بداية مرحلة المناغاة وتنتهي في الشهر الثامن عشر أو نهاية السنة الثانية، ويكتسب فيها الصوامت الشفوية والأنفية وبعض الأصوات الحنجرية الانفجارية. أما المرحلة الثانية فتبدأ في السنة الثانية أو في منتصفها وتنتهي في السنة الثالثة، ويكتمل فيها اكتساب منتصف الصوامت الانفجارية والاحتكاكية. أما المرحلة الثالثة فتنتهي في السنة الخامسة، ويكتسب فيها الطفل ظواهر لغوية ثانوية كالإطباق والتفخيم والتضعيف أو الشدة، إضافة إلى

أصوات لم يكتمل نطقها كالراء التي كانت تنطق لاماً، والخلط بين الثاء والسين ونحو ذلك^(١).

ومن مظاهر النمو الصوتي انتظام الأخطاء التي يمر بها الطفل؛ حيث يغير الصوت الأصلي ويحل محله صوتاً آخر^(٢)؛ فينطق (تتاب) بدل (كتاب)، و(سعر) بدل (شعر)، و(آس) بدل (رأس). وقد يحذف الصوت أو المقطع كاملاً؛ فيقول: (فاح) بدل (تفاح)، و(ديل) بدل (منديل)، و(آخ) بدل (باخ)^(٣). وكثيراً ما يقدم الطفل صوتاً آخر تقديماً يشبه القلب المكاني في التصريف، فيقول: (مَسْ) بدل (سَم) و(بوسْك) بدل (بوكْس)^(٤)، و(جمزة) بدلاً من (جزمة)^(٥) و(امسه) بدلاً من (اسمه)^(٦).

وقد تبين من بعض الدراسات التي أجريت على عدد من أطفال العالم^(١) أن الأصوات الشائعة في معظم لغات العالم تكتسب قبل غير الشائعة أو قليلة الشيوع، مهما كانت لغة الطفل أو بيئته، أي إن هناك علاقة إيجابية بين درجة شيوع الصوت في لغات العالم واكتسابه في مرحلة مبكرة في لغة معينة. وقد فسرت هذه العلاقة بين الشيوع والاكتساب على ضوء نظرية الموسومية Markedness Theory، التي تحدثنا عنها في موضع سابق^(٢)، بالنظر إلى أن الشائع غير موسوم وغير الشائع موسوم.

وتبين لبعض الباحثين أن الصوامت الأمامية المهموسة، والأصوات الأنفية، والصائت [a]، أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات، وأنها تكتسب في مرحلة مبكرة، وأن الصوامت الانفجارية الخلفية (الطبقية) أقل شيوعاً من الانفجارية الأمامية. ومن المعروف أن أي لغة تحوي أصواتاً خلفية لا بد أن تحوي أصواتاً أمامية والعكس بالعكس؛ فقد تحوي لغة ما أصواتاً أمامية ولا تحوي أصواتاً خلفية، وأن أي لغة تحوي أصواتاً احتكاكية لا بد أن تحوي أصواتاً انفجارية والعكس بالعكس. وبناء على ذلك، فإن الأصوات الانفجارية الأمامية تكتسب قبل الأصوات الانفجارية الخلفية، وعامة الأصوات الانفجارية بعامة تكتسب

قبل عامة الأصوات الاحتكاكية. ولعل تأخر اكتساب ظاهرة الإطباق في العربية يؤيد هذا الاستنتاج^(١)، وربما يؤيد نظرية القواعد الكلية في تفسير اكتساب اللغة.

وقد لوحظ أن الأطفال يحذفون بعض الأصوات أو بعض المقاطع التي لا يستطيعون نطقها، أو يستبدلون بها أصواتاً أو مقاطع أخرى. فكلمة (تفاح) ينطقها الطفل العربي (فاح)، وكلمة (راح) ينطقها (آح)، وهكذا^(٢). والطفل في أي مرحلة من مراحل عمره لا يصدر الصوت اللغوي معزولاً، وإنما يصدره في مقطع صوتي، وقد أوردت أمثلة لذلك، مثل: با، وما، ودا، وقي ...

ثانياً: اكتساب الصرف:

ذكرت في موضع سابق أن الكلمة هي مجال الدراسة والتحليل في علم الصرف أو التصريف المعروف بالمورفولوجيا morphology. وذكرت أيضاً أن علم الصرف نوعان: الأول علم الصرف الاشتقاقي، وهو الذي يعنى بدراسة صوغ الكلمات واشتقاقها دون النظر إلى وظيفة الكلمة في التركيب. والثاني: علم الصرف التصريفي، وهو الذي يعنى بالعلاقة بين تصريف الكلمات ومعانيها والوظائف النحوية التي تؤديها في التركيب.

وإذا كانت الكلمة هي مجال الدراسة في علم الصرف فمن الأولى أن تكون مجال الحديث عن اكتساب الصرف أو الصيغ الصرفية. بيد أن الحديث عن اكتساب الكلمة لا يقتصر على شكل الكلمة أو صيغتها، وإنما يتطلب أيضاً الحديث عن اكتساب دلالتها ووظيفتها في التركيب. فالكساب الطفل للصرف في مرحلة النمو اللغوي تتداخل سماته ومراحله مع اكتساب الكلمات والتراكيب. لهذا سوف أتحدث عن اكتساب الكلمة بوصفها مجالاً للحديث عن اكتساب الصرف، وأكمل الحديث عنها في مجالي اكتساب التراكيب واكتساب المفردات المعجمية.

فقد تبين من نتائج الدراسات في هذا المجال أن اكتساب الطفل للكلمة لا يبدأ من الحفظ الآلي لشكلها الظاهر أو صيغتها السطحية وحسب، وإنما يعتمد على فهم معناها وإدراك وظائفها الصرفية والتركيبية. ولعل أوضح الأدلة على ذلك ما يقع فيه الأطفال من أخطاء متشابهة في مراحل عمرية محددة بالرغم من أنهم يسمعون من المحيطين بهم لغة سليمة. وهذه الأخطاء منتظمة، تسير وفق مراحل محددة متعاقبة لا يسبق بعضها بعضاً، مهما اختلفت لغات الأطفال وتنوعت بيئاتهم.

فالطفل الناطق باللغة الإنجليزية الذي يستعمل الصيغة الخاطئة goed في مرحلة عمرية معينة صيغةً للماضي من الفعل المضارع go بدلاً من الصيغة الصحيحة (الشاذة) went - دليل واضح على أنه استنتج القاعدة العامة لتصريف الفعل في لغته ولم يعتمد على ما يسمعه من المحيطين به^(١). فالصيغة goed لا ترد في لغة الكبار من الناطقين بلغته أبداً، لكنها الصيغة المنطقية لقاعدة تصريف الأفعال وإن كانت خاطئة^(٢). والطفل الناطق باللغة العربية في مرحلة عمرية معينة قد يجمع كلمات جمع مذكر سالماً؛ فيجمع غنم على غنمات قياساً على سيارات ودراجات ونحو ذلك.

وتشير نتائج دراسات المورفيم morpheme studies التي أجريت على الأطفال الناطقين باللغة الإنجليزية إلى أن ثمة مورفيمات صرفية يكتسبها أولئك الأطفال وفق تدرج مرحلي منتظم في أزمنة محددة. وتعد دراسة روجرز براون Rogers Brown، التي أجراها على ثلاثة من الأطفال الناطقين بالإنجليزية، الرائدة في هذا المجال؛ حيث تبين له أن سبعة مورفيمات صرفية يكتسبها الطفل وفق تدرج مرحلي منتظم^(٣)، على النحو الآتي:

- ١- Present progressive، نحو: He is sitting down.
- ٢- Preposition "in"، نحو: The mouse is in the box.
- ٣- Preposition "on"، نحو: The book is on the table.
- ٤- Plural marker "s"، نحو: The dogs ran away.
- ٥- Past regular "ed"، نحو: The boy walked home.
- ٦- Possessive marker "-s"، نحو: The girl's dog is big.
- ٧- Third person singular "s"، نحو: John walks to school.

وقد استخلص براون من نتائج هذه الدراسة أن الأطفال الناطقين بالإنجليزية يسرون وفق تدرج متشابه وثابت في اكتسابهم لهذه المورفيمات الصرفية، وأن هذا التدرج فطري داخلي؛ لا تتحكم فيه العوامل الخارجية، من والدين ومربين ومعلمين وغيرهم. وقد فتحت هذه الدراسة آفاقاً جديدة نحو البحث في اكتساب المورفيمات في اللغة الأم واللغة الثانية.

ودراسة المورفيمات بهذه الصورة تعد دراسة أفقية cross sectional study، تهتم بدراسة الزمن الذي يكتسب فيه الطفل كل مورفيم من هذه المورفيمات. غير أن الطفل لا يكتسب المورفيم وسيطر عليه فجأة، ولا ينتقل من الجهل بالمورفيم إلى العلم به دفعة واحدة، وإنما يمر بمراحل تسمى النمو المرحلي الخاص. ففي تصريف الأسماء - مثلاً - يبدأ الطفل في استعمال صيغ الأفراد في جميع الحالات من أفراد وتثنية وجمع، ثم يبدأ في استعمال صيغ محدودة للمثنى والجمع، فإذا توصل القواعد التي تحكمها وشرع في التوليد والقياس بدأ يخطئ فيعمم بعض القواعد الصرفية التي لا تنطبق عليها القواعد التي اكتشفها⁽¹⁾، فيخلط بين جمع التكسير وجمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم. ومثل ذلك التدرج في تصريف الأفعال؛ حيث يبدأ الطفل باستعمال أفعال محدودة في صيغ زمنية محددة؛ كصيغة الماضي في العربية، وصيغة المضارع في الإنجليزية، وغالباً ما تكون شائعة الاستعمال في بيئته. فإذا توصل إلى قواعد تصريف الأفعال، وبدأ في تطبيق هذه القواعد على أفعال وصيغ جديدة، فربما

يخطئ في تعميم هذه القواعد على أنماط لا تنطبق عليها^(١). وقد أشرت قبل قليل إلى صيغة الماضي غير القياسية للفعل المضارع go التي تتحول إلى goed. وتشير نتائج عدد من الدراسات إلى أن التدرج في اكتساب المورفيمات والصيغ الصرفية في لغة الطفل مرتبط بجوانب نمو معرفية نفسية، تتمثل في اكتساب المحسوس قبل المجرد، والقريب قبل البعيد، والمباشر قبل غير المباشر، وترتبط أيضاً بجوانب تواصلية وظيفية، تتمثل في أهمية المورفيم في التواصل. فعلاقة الجمع في الإنجليزية Plural marker (s) مثلاً تكتسب قبل علامة الملكية Possessive marker (-s)، وكلاهما يكتسب قبل علامة المفرد الغائب Third person singular (s). وتفسير ذلك أن الجمع شيء محسوس يشاهده الطفل ويميزه عن المفرد (ball vs. balls) ويحتاج إليه في الموقف الاتصالي، وقريب من ذلك علامة الملكية التي ترتبط بالطفل ارتباطاً مباشراً ويمكنه تمييز دلالتها، في حين ترتبط علامة المفرد الغائب بمفهوم مجرد يصعب على الطفل استعماله، إضافة إلى أن فهم الرسالة لا يتوقف عليه. ويؤيد هذا التفسير أن صيغة الفعل الحاضر تكتسب قبل صيغة الفعل الماضي في اللغة الإنجليزية؛ لأن صيغة الزمن الحاضر أقرب إلى نفس الطفل من صيغة الماضي، فضلاً عن أن صيغ الماضي أقل شيوعاً من صيغ المضارع، ويحتاج الفعل الماضي إلى إضافة اللاحقة (ed)^(٢).

ومن الملاحظ أن الطفل يكتسب الصيغ غير القياسية قبل الصيغ القياسية. فجموع التكسير في اللغة العربية تكتسب قبل الجموع السالمة⁽¹⁾، والصيغ غير القياسية في الجموع والأفعال في الإنجليزية تكتسب قبل القياسية. وقد فسرت هذه الظاهرة بأن الصيغ غير القياسية أكثر شيوعاً واستعمالاً في الحياة اليومية من الصيغ القياسية؛ فيسمعها الطفل ويستعملها قبل أن يكتشف أن ثمة صيغاً أخرى. وإذا اكتشف الصيغ القياسية عمم القاعدة التي توصل إليها تعميماً خاطئاً في مرحلة معينة، كما بينا في goed، ثم يعود إلى الاستعمال الصحيح فيما بعد، حين يكتشف الصيغ غير القياسية في الأفعال والأسماء.

ثالثاً: اكتساب التراكيب النحوية:

من المعروف أن الطفل لا يبدأ إصدار الكلام على هيئة جملة نحوية كاملة دفعة واحدة، وإنما يمر بمراحل؛ تبدأ من نطق كلمة واحدة، ثم كلمتين، فثلاث كلمات. ولهذا يقسم اكتساب التراكيب إلى ثلاث مراحل، هي: نطق الكلمة الواحدة، ونطق الكلمتين، ونطق الكلمات الثلاث. وهذه المراحل مترابطة، فكل مرحلة منها تكمل الأخرى، ولا غرو في ذلك؛ فجميعها تؤدي معنى جملة.

المرحلة الأولى: نطق الكلمة الواحدة One Word Sentence Stage:

ينطق الطفل - في هذه المرحلة - الكلمة مفردة للتعبير بها عن جملة، خاصة في مقام الطلب؛ كأن يقول: (ماء) أي أريد ماء، وفي سياق الإجابة عن سؤال؛

كأن يقال له: أين أبوك؟ فيجيب بقوله: (سوق) أو (السوق)، أي: أبي في السوق^(١).

ومن العجيب أن الدراسات اللغوية النفسية لم تتفق على تحديد العمر الذي يبدأ فيه الطفل نطق الكلمة الواحدة التي تحمل معنى جملة. فبعض الباحثين يحدد نطق الكلمة الواحدة في الشهر العاشر، وبعضهم يمدّها إلى الشهر الثامن عشر. وهذا الاختلاف يعود إلى عدد من العوامل، منها: الفروق الفردية بين الأطفال في نمو أعضاء النطق والقدرة على السيطرة عليها، وسرعة نمو مراكز اللغة في الدماغ.

وربما يكون هذا الاختلاف بسبب اختلاف الباحثين في النظر إلى طبيعة الكلمة نفسها أو إلى ما تحمله من معنى. فمن يحددها في الشهر العاشر يعتمد على تفسير النطق بكلمة ثم يحمّل هذه الكلمة معنى ربما لا يقصده الطفل؛ فنطق المقطع (با) قد يفسر بأنه كلمة تعني (بابا)، ومثل ذلك المقطع (ما) الذي قد يفسر بأنه كلمة تعني (ماما)، أو (ماء)، أو أريد ماء، وهكذا. ويتأكد هذا التفسير إذا اشترك الوالدان أو أحدهما في جمع المادة من الطفل أو اعتمد عليهما في تفسير معاني الألفاظ. ومن يمد نطق هذه الكلمة إلى الشهر الثامن عشر لا يتعجل في تفسير الألفاظ، وينتظر حتى تتوافر لديه أدلة واضحة على استقلال الكلمة وتعبيرها عن معنى جملة تامة.

وأياً ما كان الاختلاف في تحديد زمان نطق الكلمة الواحدة التي تحمل معنى وتعبر عن جملة، فإن معظم الباحثين يجمعون على أنه لا يتجاوز الشهر الثامن

عشر، ما لم يكن الطفل مصاباً بأمراض عضوية تمنعه من إصدار الكلمات، سواء أكانت في أعضاء النطق أم في أعضاء السمع.

وتتميز هذه المرحلة بأن الكلمات التي ينطقها الطفل كلمات محتوى، وذات دلالات محسوسة، ومتمركزة حول الذات، أي حول الطفل نفسه، وتلبي حاجاته ورغباته، سواء أكانت أسماء مثل: ماء وكرة ولعبة ... أم أفعالاً مثل: هات وخذ وأريد، ونحو ذلك.

وكلمات هذه المرحلة محدودة العدد، وكثيراً ما يردد الأطفال كلمات ذات دلالات خاصة بهم، لا يفهمها الكبار؛ إما لتحريف في نطقها، أو لاستعمالها في غير معناها المعروف، وربما يستعملونها لمعان وأغراض عدة.

المرحلة الثانية: نطق الكلمتين Two Word Sentence Stage:

نطق الكلمتين امتداد للمرحلة السابقة، ويقصد بها نطق الطفل للعبارة المكونة من كلمتين للتعبير عن معنى جملة، وتسمى هذه المرحلة أحياناً بالمرحلة الشفوية telegraph speech. وتبدأ من الشهر الثامن عشر، أو الشهر العشرين، وتتميز بأن الأطفال فيها يلجأون إلى التنغيم للتعبير عن معان وأغراض مختلفة؛ كالإخبار، والاستفهام، والطلب، والرفض، والتحذير، والإجابة، والتفاخر والاعتزاز، ونحو ذلك. وتبدأ هذه المرحلة بداية بطيئة، ثم تنمو وتتقدم بسرعة؛ فقد ذكرت بعض الدراسات التي أجريت على عدد من الأطفال في هذه المرحلة أن معدل نطقهم في شهور متتابعة كان: ١٤، ١٢، ٥٤، ٨٩، ...

وهكذا.^(١)

ومن الملاحظ أن الكلمتين أو العبارة، التي ينطقها الطفل في هذه المرحلة وتمثل جملة، تقتصر على الكلمات المعجمية أو كلمات المحتوى ذات الدلالات المحسوسة concrete words دون كلمات المعاني ذات المفاهيم المجردة abstract words، وتخلو من الألفاظ والأدوات الوظيفية؛ كحروف الجر، وحروف العطف، وأدوات الربط، وأدوات التعريف، والضمائر والموصولات ونحوها. أي إن العبارة تقتصر على الأسماء وبعض الأفعال والصفات المحسوسة؛ لأن الطفل - في هذه المرحلة - لا يدرك الكلمات المجردة التي لا تحمل معاني يدركها بإحدى حواسه، ولا الأدوات الوظيفية لأن كثيراً منها لا تحمل معاني في نفسها، وربما تكون أكثر تجريداً من بعض الكلمات. ويستثنى من ذلك بعض العبارات الشائعة، مثل: السلام عليكم، التي ينتجها معظم الأطفال بوصفها كلمة واحدة^(١).

ومن الملاحظ أيضاً أن الطفل لا يكتسب الأدوات والألفاظ الوظيفية قبل أن يكتسب كلمات المحتوى المرتبطة بها؛ فلا يكتسب حرف الجر (على) قبل أن يكتسب الكلمات المعجمية التي ترد فيها، كالكتاب والطاولة في جملة مثل: الكتاب على الطاولة. ويبدأ الطفل في هذه المرحلة نطق الكلمات المحورية pivot وهي كلمات محدودة مرتبطة بكلمات محتوى، مثل: كثير وكبير وصغير وفوق وتحت ونحو ذلك في عبارات نحو: ماء كثير، وكأس كبير، وبابا فوق، ونحو ذلك^(٢).

ومن الملاحظ أيضاً أن الطفل في هذه المرحلة يقتصر على استعمال صيغ معينة للكلمات التي ينطقها، وهي الصيغ الأساس؛ كصيغة المفرد في الأسماء والصفات، وصيغة الماضي في الأفعال في اللغة العربية مثلاً، وصيغة المضارع في اللغة الإنجليزية. ولا يستعمل الضمائر إلا في الإشارة إلى شيء محسوس، وإذا استعملها بدأ في ضمائر المتكلم أولاً، ثم ضمائر المخاطب، أما ضمائر الغائب فيتأخر استعمالها؛ لأنها شبيهة بالمفاهيم المجردة، وبعيدة عن إدراكه في هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة: نطق الثلاث الكلمات Three Word Sentence Stage:

نطق الثلاث الكلمات مرحلة مكتملة للمرحلة السابقة، بيد أن لغة الطفل في هذه المرحلة تقترب من الكمال، وتزداد وضوحاً. وفيها يبدأ الطفل باستعمال الكلمات الوظيفية تدريجياً إلى جانب كلمات المحتوى، وبخاصة الضمائر وأسماء الإشارة وبعض حروف الجر، لكنه يواجه صعوبات في تصريف الأفعال، واستعمال علامات الجمع التذكير والتأنيث، وأدوات التعريف والتكثير، ولا يستعمل الأسماء الموصولة والضمائر المتصلة إلا نادراً. وتبدأ هذه المرحلة في منتصف السنة الثالثة، وتستمر حتى السنة الرابعة.

وتتميز هذه المرحلة بنمو الوظائف الأساسية للجملة؛ كالاستفهام، والنفي، والرفض، والتعجب، والإنكار^(١). غير أن كل وظيفة منها تكتسب مورفيماتها اكتساباً تدريجياً بطريقة رأسية؛ ففي الاستفهام - مثلاً - يبدأ الطفل في استعمال الصيغ القصيرة التي يجاب عنها بنعم أو لا yes-no questions، ثم ينوع أساليب الاستفهام وصيغه، نحو: من، وأين، ومتى، وكيف، ولماذا، وغير ذلك. أما الاستفهام بالتنغيم والإشارة والطلب ونحو ذلك، فتكتسب في مرحلة سابقة لهذه المرحلة، أي تكون في السنتين الأولى والثانية.

ومما يميز هذه المرحلة أيضاً استقلال الطفل بلغة خاصة به تختلف عن لغة الكبار؛ فبتعد عن تقليدهم ومحاكاتهم، بيد أنها تؤدي وظائف لغوية تواصلية طبيعية لا تختلف عن طبيعة اللغة البشرية من حيث الإبداع والتوليد والقياس ونحو ذلك.

المرحلة الرابعة: نطق الجملة الكاملة The Complete Sentence Stage:

وهي المرحلة التي ينطق فيها الطفل جملاً كاملة سليمة؛ تحوي مفردات معجمية وأدوات وظيفية، وبخاصة الضمائر والأسماء الموصولة، لكنها جمل بسيطة قصيرة وإن تعددت كلماتها. ويختلف الباحثون في تحديد بداية هذه المرحلة، لكنهم يتفقون على أنها تنتهي في نهاية السنة الرابعة.

المراحل المتأخرة في اكتساب التراكيب:

يعتقد معظم الباحثين في اكتساب اللغة أن لغة الطفل تكتمل مراحلها التركيبية الأساس في نهاية السنة الخامسة أو السادسة^(١)، وهي المرحلة التي تسبق مرحلة الدراسة الابتدائية، وهذا مما يفسر اقتصار الدراسات اللغوية على هذه المرحلة (الأساس). لكن دراسات أجريت على أطفال أعمارهم ما بين السنة السادسة والسنة العاشرة، وتبين من نتائجها أن الأطفال يكتسبون تراكيب نحوية لم يكتسبوها من قبل، خاصة التراكيب الاستثنائية والتراكيب المعقدة غير الشائعة في المرحلة الأساس، إضافة إلى تراكيب تنوب عنها تراكيب أخرى في تأدية المعنى.

وأبرز هذه الجمل التي درسها هؤلاء الباحثون ما يعرف بالجمل الغامضة ambiguous sentences، وهي التي تحتمل أكثر من معنى، ويمثلون لذلك بالجمل الإنكليزية، نحو^(١):

Children are nice to understand
Sam is eager to please
Sam is easy to please

غير أن هذه المرحلة تتداخل فيها الجوانب النحوية مع الجوانب الدلالية، ولا سيما الدلالات التي يعتمد معناها على السياق أو الحال. وهذه المسألة شبيهة بالجمل العربية التي يجوز أن يضاف المصدر فيها إلى فاعله أو مفعوله؛ نحو: ضرب المعلم حرام.

وإذا كانت هذه المرحلة في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة في كثير من لغات العالم، فإن الحاجة إلى دراستها في اللغة العربية أشد حاجة؛ لأن الطفل العربي ينتقل من بيئته المنزلية التي يتلقى فيها دخلاً بلهجة عامية إلى بيئة تعليمية يتلقى فيها دخلاً باللغة العربية الفصيحة، ويكتسب لغة تختلف في تراكيبها النحوية عن لهجته اختلافاً بيناً.

رابعاً: اكتساب المفردات:

الحديث عن اكتساب المفردات يتضمن جانبين: أحدهما شكل الكلمة أو بنيتها، والآخر دلالة الكلمة ومعناها. وقد سبق الحديث عن اكتساب الطفل بنية الكلمة في أثناء الحديث عن اكتساب الصرف، بالنظر إلى أن الكلمة هي موضوع الدراسة في علم الصرف. كما سبق الحديث عن مرحلة نطق الكلمة في اكتساب التراكيب النحوية، وهي الكلمة التي تعبر عن معنى جملة أو تؤدي

وظيفة جملة. وسيقصر الحديث هنا على اكتساب معاني الكلمات ودلالاتها، وهو حديث لا يفصل عن الحديث عن الكلمة نفسها؛ لأن الطفل لا يكتسب بنية الكلمة ما لم يدرك معناها ودلالاتها.

وقد تبين مما سبق أن الطفل يكتسب كلمات المحتوى content word قبل أن يكتسب الكلمات الوظيفية functional words، وتبين أيضاً أنه يكتسب الكلمات ذات الدلالات المحسوسة قبل أن يكتسب المفردات ذات الدلالات العقلية المجردة، ثم يتدرج في اكتساب المفردات المجردة؛ وذلك بحسب إيغالها في التجريد، وقربها أو بعدها من بيئته وحياته الخاصة. فالكلمات الجوع والعطش والفرح والحزن والحب والكره والكذب ونحوها مفردات مجردة، غير أنها أقل تجريداً من كلمات العدل والظلم والثقة ونحوها^(١).

ولكي يكتسب الطفل معنى كلمة ما لا بد من سماعها مرتبطة بمدلولها ومعناها، سواء أكانت محسوسة أم مجردة، لكن اكتساب الكلمة المجردة يتطلب وقتاً أطول من الوقت الذي يتطلبه اكتساب الكلمة المحسوسة. فالكلمات المحسوسة يكتسب الطفل دلالتها بربطها بما تدل عليه مباشرة؛ فيربط الكرة مثلاً بالكرة نفسها أو بصورتها، ويربط أسماء أسرته بأشخاصهم.

أما الكلمات المجردة فيكتسبها بعد أن يسمعها مقترنة بوظيفتها كالجوع والعطش والفرح والحزن، وذلك في موقف أو سلوك أو تلبية طلب أو نحو ذلك. فكلمة جوعان (جائع) مثلاً يكتسبها الطفل نتيجة الحاجة إلى الطعام الذي يدعوه إلى البكاء، فتقرب منه أمه وتقول له: جوعان؟ أو أنت جوعان؟

بنغمة مرتفعة تدل على الاستفهام، وقد يشير إلى ما حوله من طعام استفهامية، فيلبي طلبه ويعطى طعاماً يشبع رغبته^(١). وقد لوحظ أن الطفل لا يختار من الكلمات التي يسمعها من أمه في هذا السياق غير الكلمة الأساس التي هي محور الحديث، ككلمة (جوعان) في المثال السابق.

وعلى الرغم من تلقى الطفل لغته من بيئته، واستعماله كلمات في سياقات ودلالات سليمة تشبه ما يستعمله الكبار، فإن الكلمات التي يكتسبها الطفل في مرحلة طفولته ويستعملها غالباً ما تتسم بسمات لغوية ونفسية تميزها عن لغة الكبار، وبخاصة في مجال الدلالة. ومن أبرز هذه السمات ما يلي^(٢):

- ١ - ضيق الدلالة: وهي قصر دلالة الكلمة على مفهوم محدود في ذهن الطفل؛ فكلمة قطار ربما لا تعني سوى القطار الذي يلعب فيه الطفل، وكلمة سيارة لا تعني سوى لعبته أو سيارة والده، وهكذا.
- ٢ - اتساع الدلالة: وهي تعميم دلالة الكلمة على أشياء لا تشملها؛ فقد يطلق الطفل كلمة (بابا) على كل رجل، وقد يطلق كلمة (عم) على كل ضيف يراه في البيت، وكلمة (عوّ) أو (بَع) على كل حيوان.
- ٣ - التداخل: وهو الخلط بين الأسماء ومسمياتها؛ فقد يطلق الطفل كلمة (باب) على الغرفة أو العكس، وكلمة (طاولة) على الكرسي أو العكس؛ وذلك لتشابه الوظائف والمواقف.

٤ - الاختلاف: وهو ابتداء الطفل كلمات خاصة به غير مستعملة في بيئته، سواء في بنيتها أو في دلالتها، وقد يرددها ويصر على استعمالها فترة من الزمان، ولو لم يعرف معناها أحد من المحيطين. فقد سُمع طفل عربي يردد كلمة (دودو) فترة من الزمان، ولم يتفوه بها أحد من أفراد أسرته، وتبين أنها في معجمه الخاص تعني طفلاً صغيراً^(١). وقد أطلق اللغوي أتو جيسرسن على هذه الظاهرة مصطلح اللغة الصغيرة little language^(٢).

ولهذه اللغة المتميزة عن لغة الكبار مصدران: أحدهما الأم أو من يقوم مقامها كالأب والمربية ونحوهما؛ ولهذا تسمى لغة الأمومة motherese/parentese language، وثانيهما لغة الأقران أو الإخوان والأخوات؛ ولهذا تسمى لغة الطفولة baby talk/language^(٣)، نسبة إلى أتراب الطفل لا إلى الطفل نفسه.

فلغة المصدر الأول (لغة الأمومة) لغة خاصة بالأم في حديثها مع طفلها؛ يسمعها منها أو من أبيه أو منهما معاً صباح مساء منذ ولادته، وربما يستعملها الأطفال في مداعبتهم لإخوانهم الصغار، لكنهم يقلدون والديهم في هذه اللغة؛ أي إن هؤلاء الأطفال يخاطبون إخوانهم الصغار بلغة الأمومة لا بلغة الطفولة.

وتتميز لغة الأمومة بسلامة الصيغ والتراكيب وسهولتها وقصرها، وشيوع مفرداتها مبنى ومعنى، وقربها من حياة الطفل اليومية واهتماماته الخاصة. وتنطقها الأم ببطء وتوقف أحياناً، ووضوح في النبر والتنغيم، وترديد لبعض الكلمات والعبارات أحياناً. وتستعمل فيها الأسماء بدلاً من الضمائر؛ كأن تقول الأم لطفلها: ماما تريد أن تعطي محمداً حليماً، بدلاً من: سأعطيك حليماً^(١)، ونحو ذلك.

وتخاطب الأم طفلها بهذه اللغة منذ الأسابيع الأولى لولادته، وهي تدرك أنها لغة لا تناسبه في هذه المرحلة، لكنها جبلت على ذلك لحكمة بالغة. وهذه اللغة مهمة لتسهيل اكتساب لغة سليمة وتعجيلها، لكنها غير ضرورية؛ فلا يتوقف عليها اكتساب الطفل للغة. ويرى تشومسكي، وغيره من اللغويين المعرفين الفطريين، أن الطفل لا يسمع من والديه إلا عبارات وتراكيب سليمة، تتفق مع قوانين اللغة وقواعدها^(٢).

أما لغة المصدر الثاني، وهي لغة الطفولة التي يتلقاها الطفل من أقرانه في الحضانة أو الروضة أو مكان اللعب أو غير ذلك، فتأتي في مرحلة لاحقة للغة الأمومة؛ حيث تبدأ في نهاية السنة الثانية حيث يستقل الطفل عن أمه. وتختلف هذه اللغة عن لغة الأمومة في أنها يسيرة مختصرة؛ تخلو من كثير من الروابط والألفاظ الوظيفية ونحوها مما تتطلبه بنية الجملة، أي إنها تتضمن صيغاً وتراكيب

خاطئة، لكنها تناسب عمر الطفل وتتفق مع نموه اللغوي، ويفهمها بيسر وسهولة؛ لأنها تصدر من أطفال في سنه في مواقف طبيعية وسياقات حقيقية. وهذه اللغة - كسابقتها - مهمة ومفيدة لكنها غير ضرورية^(١).

وكما تقدم العمر بالطفل اكتسب معاني جديدة للكلمات التي اكتسبها إضافة إلى معانيها الأولية، ولكن هذه المعاني مقيدة بحاجة الطفل اليومية وبيئته القرية منه. ثم يعيد النظر في استعمال الكلمات ودلالاتها؛ فيوسع الدلالات الضيقة، ويحدد الدلالات الموسعة، وينسب الأسماء إلى مسمياتها والكلمات إلى دلالاتها الصحيحة.

لقد لَحَصَ (واطسن) مَراحِلَ اِكْتِسَابِ وَ نُمُو اللُّغَةِ عِنْد الطِّفْلِ فِي مَرَحَلَةٍ مَا قَبْلَ الْمَدْرَسَةِ كَمَا

يَلِي :

- الطِّفْل فِي سِتَّةِ أَشْهُرَ : يَتَلَقَّظُ بِتَرْدِيدَاتٍ دَائِرِيَّةٍ (الْمَنَاعَاةُ) .
- الطِّفْل فِي اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا : يَسْتَعِدِمُ كَلِمَةً أَوْ أَكْثَرَ ، وَ يَفْهَمُ التَّعْلِيمَاتِ وَالْأَمَرَ اللَّفْظِيَّةَ الْمَصْخُوبَةَ بِإِشَارَاتٍ مُمَيَّزَةٍ .
- الطِّفْل فِي ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا : يَسْتَعِدِمُ أَرْبَعَ أَوْ خَمْسَ كَلِمَاتٍ وَ قَدْ يَسْتَعِدِمُ كَلِمَتَيْنِ مَعًا .

- طِفْلُ السَّنَتَيْنِ فَأَكْثَرُ : يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَيِّجَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءٍ أَوْ خَمْسَةَ مَالُوفَةٍ مِثْلَ سَاعَةِ مِفْتَاحِ قَلَمٍ الخ .

- طِفْلُ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ : يَسْتَعِدِمُ الضَّمَائِرَ (أَنَا - أَنْتَ) وَ يُحْكِنُ أَنْ يَسْتَعِدِمَ أَرْبَعَ حُرُوفٍ جَرِّ ، كَمَا يُمَيَّزُ بَيْنَ فِي وَ تَحْتَ وَ خَلْفَ ، وَ يَعْرِفُ الْأَجْزَاءَ الرَّئِيسَةَ لِلْجِسْمِ حَيْثُ يَصِلُ عِدَدُ الْمَفْرَدَاتِ عِنْدَهُ إِلَى 896 كَلِمَةً .

- طِفْلُ الْأَرْبَعِ سِنَوَاتِ فَأَكْثَرُ : يَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْأَلْوَانِ الشَّائِعَةِ وَ يُحْكِنُ أَنْ يَسْتَعِدِمَ أَرْبَعَ حُرُوفٍ جَرِّ ، وَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى تَسْمِيَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْأَلْيَفَةِ : قِطٌّ - كَلْبٌ وَ يَصِلُ عِدَدُ الْمَفْرَدَاتِ إِلَى 1540 .

- طِفْلُ الْخَمْسِ سِنَوَاتِ : يُحْكِنُ أَنْ يَسْتَعِدِمَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُعَيِّرُ عَنْ وَظِيفَةِ الْأَشْيَاءِ وَيَعْرِفُ الْأَضْدَادَ الشَّائِعَةَ مِثْلَ : كَبِيرٌ / صَغِيرٌ ، ثَقِيلٌ / خَفِيفٌ ¹ .

غَيْرَ أَنَّ الْمُنْتَجِعَ لِنَتَائِجِ دَرَاثَاتِ الثَّرْوَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِلطِّفْلِ لَا يَجِدُ إِتْفَاقًا فِي النَتَائِجِ مِنْ حَيْثُ كَمِّ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي يُعَقِّنُهَا الطِّفْلُ ، فَبَعْضُ الدِّرَاسَاتِ خَاصَّةً الْأَجْنِبِيَّةِ مِنْهَا تُشِيرُ إِلَى مُتَوَسِّطِ مَقْدَارِهِ 2500 مُفْرَدَةٍ فِي نِهَايَةِ هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ ، فِي حِينٍ يُشِيرُ الْبَعْضُ الْآخَرُ إِلَى حَوَالِي 4000 كَلِمَةً ² وَ يُمْكِنُ إِظْهَارُ هَذَا التَّطَوُّرِ فِيمَا يَلِي :

- سِتَّةَ أَشْهُرَ : أَصْوَاتٌ بَسِيطَةٌ يُقَلِّدُهَا وَ التَّعْبِيرُ عَنِ السُّرُورِ وَ الْإِرْتِيَاحِ .
- سَبْعَةَ أَشْهُرَ : أَصْوَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ لِلْمَقَاطِعِ .

- ثمانية أشهر : أصوات مقطعة مفردة .
- تسعة أشهر : يبدأ تطلق (ماما - بابا) و يقلد الأصوات المتكررة .
- عشرة أشهر : الكلمة الأولى و التي تتكرر من قبل الأب و الأم .
- إحدى عشر شهرا : تقليد الكلمات البسيطة ، فهم الإشارات و الوجه المألوف.
- ستة و اسبعة : فهم معاني الكلمات بالارتباط و الاستجابة للأوامر البسيطة
- ستة و ثلاثة أشهر : الكلمات الأولى فعظمها أسماء .
- ستة و ستة أشهر : استعمال الضمات و ظروف الزمان و المكان وتكوين العبارات.

- مستثنان : جمل بسيطة و قصيرة تتكون من كلمتين .
- ثلاث سنوات : زيادة كبيرة في المفردات .
- أربع سنوات : تبادل الحديث مع الكبار .
- خمس سنوات : جمل كاملة تشمل كل أجزاء الكلام .
- ستة سنوات : يعرف معاني الأرقام و الأرملة .

إن الطفل إذن مطالب لتحقيق التواصل بتنمية قدراته الذهنية و العقلية ، و من الملاحظ كذلك أن اللعب هو أفضل الأنشطة التي يمكن من خلالها معرفة درجة تطور قدرة الطفل على التحدث و الإستماع " ففي هذه المرحلة يلاحظ أن اللغة عند غالبية الأطفال غالبا ما تكون من نوع المونولوج أي الحديث مع الذات ، إنهم يلعبون معا و كل منهم يتحدث مع نفسه . " هذا إضافة إلى أن انفتاح الطفل على العالم الخارجي يُعَيِّق مهاراته اللغوية فانتساع عالم الطفل بعد أن كان مقصورا على عالم البيت يشمل الجيران و الحي و الروضة يتيح له فرصة أكثر لإثراء ذخيرته اللغوية وتنشيط مهاراته في استعمالها و من هنا يكون قد سلك السبيل في الابتعاد عن الأمانية و الإقتراب من الغثية و الخوط في النشاط اللغوي المشترك مع أهله و أقرانه .¹

(الأسس العصبية للغة والكلام)

تمهيد:

يتحكم الدماغ بكل أعضاء الجسم ووظائفه، حيث تصدر خلاياه الأوامر وتصل إلى الأعضاء عن طريق الخلايا العصبية، فيستجيب العضو للأوامر.

إن دراسة علم الأعصاب تركز على جانبين أساسيين من جوانب النظام العصبي :

- التشريح العصبي، توزع المناطق في الدماغ
- الفيزيولوجيا العصبية، كيف يقوم الدماغ بوظائفه.

يعد علم الأعصاب حديث نسبياً مقارنة ببقية العلوم الطبية ، وهو يستند بشكل كبير على تصوير الدماغ. ومنه ظهر حقل جديد يسمى ب اللغويات العصبية (علم اللغة العصبي) والذي يختص بدراسة التشريح العصبي، الفيزيولوجيا، الكيمياء الحيوية للغة. يحاول علم اللغة العصبي تحديد بني النظام العصبية المتضمنة في عملية اللغة وتوضيح كيف تتم هذه العملية.

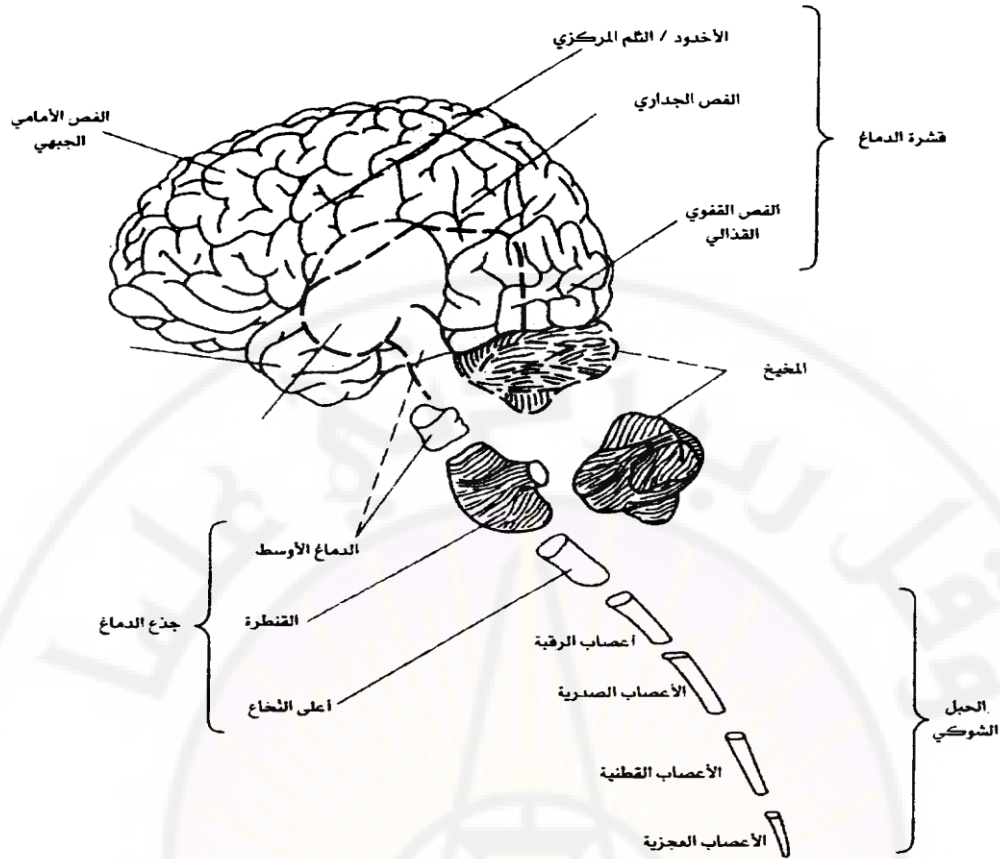
وسنحاول في هذه المحاضرة توضيح أهم أجزاء النظام العصبي المركزي المتضمنة في عملية معالجة اللغة، ومناقشة ماهي وظائف هذه الأجزاء .

الجهاز العصبي Nervous System:

الجهاز العصبي مجموعة من الأنسجة العصبية؛ يتحكم في جسم الإنسان، ويقوم بتنظيم أنشطته وحركاته المختلفة، الإرادية منها وغير الإرادية. وينقسم الجهاز العصبي قسمين مستقلين تشريحيًا، متعاونين وظيفيًا، هما: الجهاز العصبي المركزي central nervous system، والجهاز العصبي المحيطي أو السطحي peripheral nervous system، أي غير المركزي^(٢)، بالإضافة إلى الجهاز العصبي التلقائي المستقل autonomic nervous system^(٣).

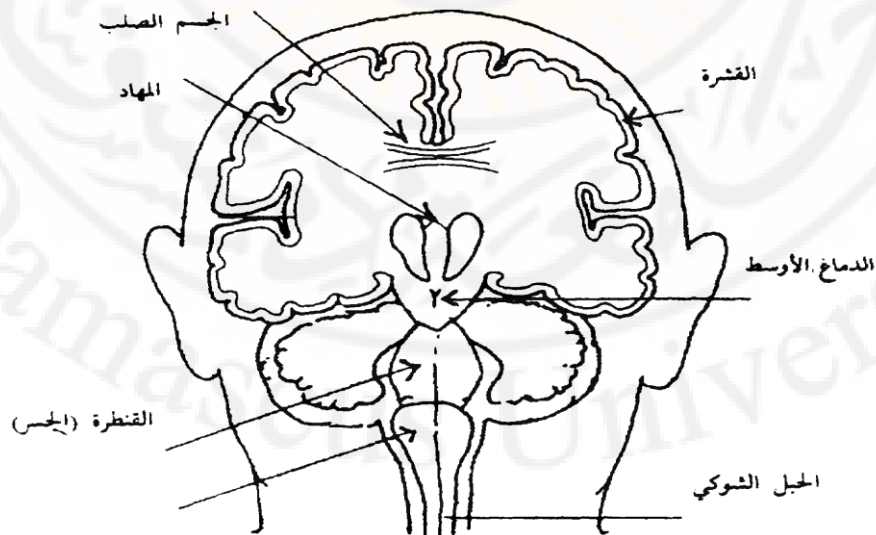
فالجهاز العصبي المركزي يتكون من المخ أو الدماغ الذي يشمل نصفي كرة الدماغ، والنخاع المستطيل، والمخيخ، وقنطرة فارول، والحبل الشوكي. ومهمة هذا الجهاز تنظيم الحركات العقلية والجسمية والعمل على تكاملها، والتحكم في الوظائف الإرادية الشعورية.

والجهاز العصبي يوضحه الشكلان (٥) و (٦):



الشكل (٥) الذي يوضح الجهاز العصبي بجميع أجزائه. المصدر:

Dingwall, W. The Biological Bases of Human Communicative Behavior, P. 51



الترتيب التدريجي لأقسام الجهاز العصبي المركزي

الشكل (٦) صورة لأقسام الجهاز العصبي المركزي العصبي. المصدر:

Akmajian, A. et al. Linguistics: An Introduction to Language and Communication, P. 498.

وفي هذا الجهاز عدد من الأعصاب الدماغية التي تؤدي وظائف حسية وحركية ويعتمد عليها الإنسان في الفهم والنطق، ومن هذه الأعصاب ما يلي:

١- العصب البصري optic nerve: وهو العصب الدماغى الثانى^(١) الذى يربط بين شبكة العين والفص الخلفى للدماغ.

٢- العصب الحسى الحركى: وهو العصب الدماغى الخامس الذى يجلب الإحساسات من الوجه ويتصل بعضلات المضغ والبلع التى هى أيضاً أعضاء للكلام.

٣- العصب السمعى auditory nerve: وهو العصب الدماغى الثامن، الذى يتصل بالعصب القوقعى فى الأذن وعصب الدهليز.

٤- العصب اللسانى البلعومى glosso Pharyngeal: ويشرف على عمليات حسية حركية منها حركة الفك لإنتاج الكلام.

٥- العصب التائه أو المبهم vagus nerve: وهو العصب الدماغى العاشر، وله عدة وظائف لغوية مباشرة كتغذية الأوتار الصوتية، وغير مباشرة كالتنفس.

٦- عصب ما تحت اللسان hypoglossal nerve: وهو العصب الدماغى الثانى عشر، وترتبط فروعه بعضلات اللسان.^(٢)

والشكل (٧) يوضح هذه الأعصاب فى خارطة برودمان للدماغ:



الشكل (٧) خارطة برودمان للدماغ. المصدر: خالد الخميس. علم النفس العصبى، ص ١٥٢.

والجهاز العصبي المحيطي، أو غير المركزي، يتألف مما عدا ذلك من الأعصاب المخية، والأعصاب النخاعية الشوكية، والجهاز العصبي التلقائي^(١)، ويتكون من ألياف منتشرة عبر الجسم تمر من مراكز إرسالها إلى الجهاز العصبي المركزي، وألياف أخرى تمر من الجهاز العصبي المركزي إلى العضلات والغدد^(٢).

أما الجهاز العصبي التلقائي أو الذاتي فيتحكم في العمليات غير الإرادية؛ كضبط عملية التنفس التي هي مادة الكلام^(٣).

غير أن الدماغ، أو قشرة الدماغ المعروف بالحاء، هو أهم مكونات الجهاز العصبي بعامة والجهاز العصبي المركزي بخاصة، ولاسيما في عمليات الفهم والكلام والقراءة والكتابة وغيرها من العمليات اللغوية، وهو موضوع الفقرات التالية.

الدماغ Brain:

الدماغ أو المخ، كما يطلق عليه أحياناً، هو أهم جزء في الجهاز العصبي المركزي، بل هو مركز الجهاز العصبي المركزي نفسه. والدماغ عبارة عن كتلة من النسيج العصبي؛ تملأ تجويف الجمجمة، وتبلغ مئة بليون خلية^(٤) عصبية neurone^(١)، وكل خلية متصلة بعدد من الخلايا التي يبلغ عددها ما بين ألف وعشرة آلاف خلية عصبية (١٠٠٠-١٠٠٠٠). وتتكون هذه الكتلة من عدة أجزاء ومراكز، وكل جزء أو مركز منها مسؤول عن وظيفة واحدة أو عدة وظائف جسمية وذهنية، إدراكية وغير إدراكية، بعضها معروف وبعضها غير معروف حتى الآن.

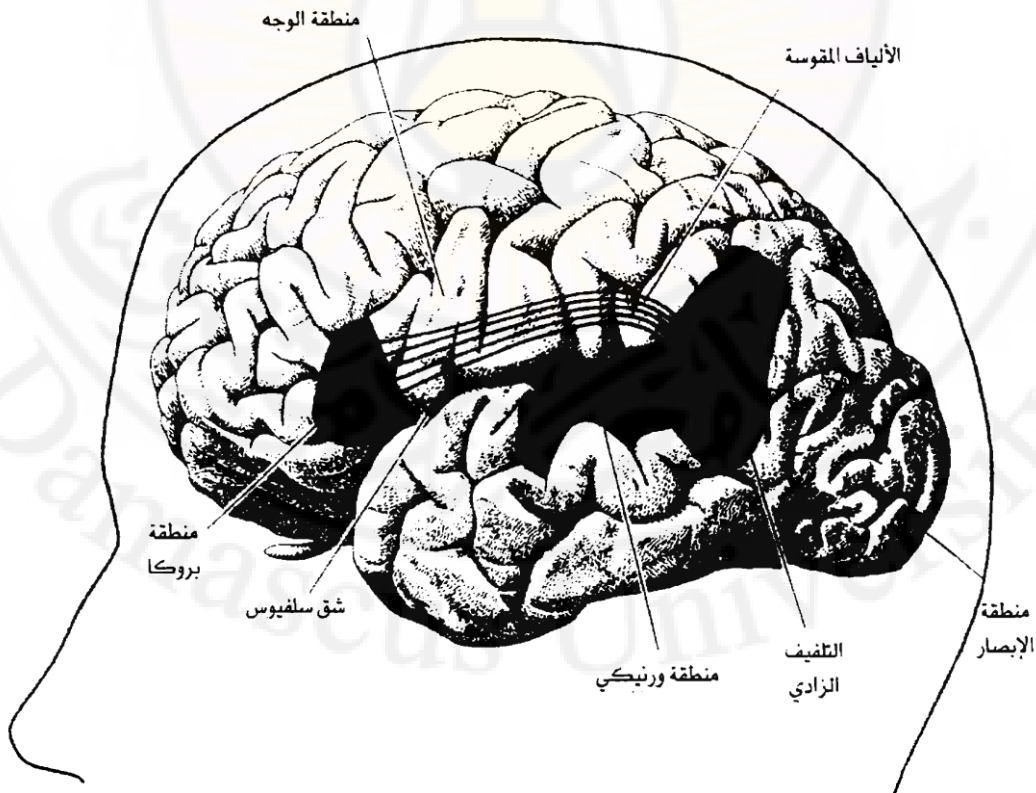
وتبدأ هذه المراكز أو الأجزاء من أعلى النخاع الشوكي medulla، على هيئة جسم متضخم في أعلاه، أي في منطقة اتصاله بأسفل الدماغ من الجهة الخلفية. ويلبي النخاع إلى الأعلى المخيخ cerebellum، الواقع في الجهة الخلفية، وقنطرة فارول pons varolii، الواقعة أمام المخيخ، وكلاهما مسؤول عن التنسيق الحركي والوقوف والجلوس وحفظ التوازن^(٢).

ويتألف المخيخ أيضاً من نصفين، تصل بينهما قناة فارول بواسطة مجموعة من الألياف التي تمر بها، كما تصل هذه القنطرة أيضاً بين نصفي الدماغ^(٣). ويقع خلف أسفل المخيخ ما يعرف بالمخ الخلفي أو النخاع المستطيل medulla oblongata/myelencephalon، المسؤول عن الحركات الحيوية وبخاصة التنفس. يلي هذه الأجزاء السفلى للدماغ (النخاع والقنطرة والمخيخ ..)

الدماغ الأوسط mid brain الذي يربطها إلى الأعلى بأسفل الدماغ نفسه، وهو مسؤول عن آليات الانعكاسات العينية والأذنية^(١).

أقسام الدماغ (بنية الدماغ) Brain Structures:

إذا نظرنا إلى صورة مقطع عمودي للدماغ ألفيناه مكوناً من عدد من الطبقات؛ أعلاها الغشاء الواقي الواقع تحت الجمجمة skull، يلي هذا الغشاء اللحاء أو القشرة الدماغية الرمادية اللون التي تغطي سطح الدماغ، يلي هذه القشرة المادة البيضاء التي كسيت خلاياها بمادة الغمد (الميلين) التي تشكل معظم الدماغ^(٢). إلى جانب هذه الأجزاء توجد المادة الحمراء المكونة من الدم والأوعية الدموية^(٣)، كما في الشكل (٨).



الشكل (٨) صورة مقطعية للدماغ. المصدر: Bissantz, A. et al. Language Files, P.192.

بيد أن أهم جزء في الدماغ هو اللحاء أو القشرة الدماغية؛ لأنها مسؤولة عن الوظائف المعرفية الإدراكية بعامة والوظائف اللغوية بخاصة^(١). وهي قشرة رمادية اللون تقع تحت الجمجمة وتغطي سطح الدماغ بسمك يبلغ ما بين ١,٥ إلى ٥ ملمترات حسب عمر الإنسان وحجم دماغه، وتزن عند الإنسان العادي ١٣ غراماً تقريباً^(٢). وهذه القشرة رمادية اللون، كثيرة التجاعيد والتلافيف والشقوق والحواف^(٣)، ومحيطة بما يقارب خمسة عشرة بليوناً من الخلايا العصبية، وما يزيد عن ذلك من الخلايا العصبية glia cells لدى الغالبية من الناس^(٤). والملاحظ أن الخلايا العصبية هذه تبلغ عند الطفل الصغير أضعاف هذا العدد، لكن يقل عددها مع تقدم عمر الإنسان حتى تصل إلى أقل عدد لها في مرحلة الشيخوخة. والشكل (٩) يوضح طبقات الدماغ وأجزائه.



الشكل (٩) صورة مقطعية عمودية للدماغ وطبقاته. المصدر:

محمد منير المعراوي، أبجديات العقل البشري، بريطانيا: دار إيلاف، ١٩٩٦م، ص ٦٣.

ويعتقد أن هذه السمات هي التي تميز دماغ الإنسان عن أدمغة سائر المخلوقات الأخرى، خاصة أدمغة الحيوانات التي عادة ما تكون ملساء ومادتها الرمادية أقل مما هي عند الإنسان. لهذا يرى العلماء أن القدرات الفريدة للدماغ البشري تعود في معظمها إلى القشرة الدماغية هذه التي يختلف فيها الإنسان عن الحيوان؛ فقدرات الإنسان على الكلام والقراءة والكتابة والملاحظة والتفكير، ونحو ذلك مما يميزه عن الحيوانات، مقرها قشرة الدماغ.

أجزاء الدماغ المسؤولة عن اللغة:

لو نظرنا إلى الدماغ من الأعلى نظرة أفقية ألفيناه مقسماً إلى قسمين أو جانبين، أو نصفين، هما: الجانب الأيمن right hemisphere، والجانب الأيسر left hemisphere، يقابل كل منهما الآخر ويساويه في شكله وحجمه كصورة الشيء في المرآة. فكل منهما يشبه قشرة الجوز، ويشكل تطابقهما صورة تشبه حبة الجوز الكاملة. لكن من العلماء من يرى أن هذين النصفين غير متساويين ولا متشابهين؛ فالفص الصدغي في النصف الأيسر مثلاً أكبر من نظيره في النصف الأيمن لدى معظم الناس^(١). ولاحظ بعض الباحثين أن لدى الأطفال الرضع انتفاخاً في الجانب الأيسر الذي هو مركز اللغة، لا يوجد مقابل له في الجانب الأيمن، كما لوحظ أن منطقة بروكا في الجانب الأيسر أكبر من مقابلتها في الجانب الأيمن.

والنصفان مربوطان بواسطة مجموعة من الأعصاب التي تسمى الأعصاب الموصلة Commissures، أكبر هذه الأعصاب ما يعرف بالجسم الصلب corpus callosum، الذي يصل بين نصفي الدماغ، ويقوم بتنسيق العمليات العقلية في نصفي الدماغ^(٢).

ويحتوي كل نصف على أربعة فصوص lobes، يفصل بعضها عن البعض الآخر أخدودان أو شقان جانبيين هما: شق رولاندو Rolando fissure، وشق سيلفيوس Sylvius fissure، لكنها تتصل ببعضها بواسطة مسالك أو قنوات tracts. والفصوص الأربعة هي:

١- الفص الأمامي أو الجبهي The Frontal Lobe:

يقع هذا الفص في الجزء الأمامي من الدماغ وخلف الجبهة مباشرة، ويفصله عن الجزء الخلفي من الدماغ شق رولاندو، كما يفصله عن الجزء الأسفل شق سيلفيوس. وتوجد في هذا الفص مراكز وتقع في أسفله تلافيف مرتبطة بالمراكز الخاصة بأعضاء الخنجر والبلعوم والقسم، وهي منطقة الحركة المعروفة بمنطقة بروكا Broca's Area المسؤولة عن تخزين الكلام وبرمجته وإنتاجه. ولهذا الفص أيضاً أهمية كبيرة من الناحية المعرفية^(١).

٢- الفص الجداري The Parietal Lobe:

يقع هذا الفص في أعلى الجزء الخلفي من الدماغ بين شقي رولاندو وسيلفيوس والفص القفوي القذالي، ويحتوي على مقدمة قشرة الإحساس primary somesthetic cortex، المسؤولة عن الإحساس العام للجسد؛ كالشعور بالحرارة والبرودة والألم وغيرها، وحركات اليدين والرجلين والوجه. ويحتوي هذا الفص على منطقة مهمة من مناطق اللغة تعرف بالتلفيف الزاويّ angular gyrus، الواقع في ملتقى كل من الفصوص الثلاثة؛ الجداري والصدغي والقذالي، ومهمته ربط المعلومات بين هذه الفصوص الثلاثة^(٢).

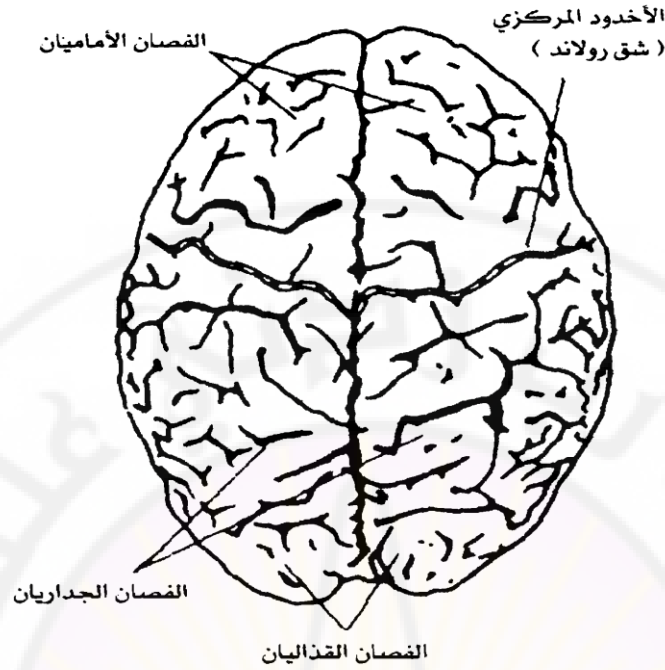
٣- الفص الصدغي The Temporal Lobe:

وهو فص مخي يقع تحت شقي رولاندو وسيلفيوس، ويمتد إلى الخلف حتى الفص القفوي، لكنه مفصول عن الفص الأمامي بشق سيلفيوس، ومفصول عن الفص القذالي بخطوط مختلطة، وفيه ساحة سمعية تسمى قشرة السمع primary auditory cortex، ويحتوي على منطقة اللغة المعروفة بمنطقة فرنكي Wernicke's Area المسؤولة عن تخزين الكلام المسموع وترجمته وفهمه^(٣).

٤- الفص القفوي القذالي The Occipital Lobe:

وهو أصغر هذه الفصوص، ويقع في الجهة السفلى من مؤخرة قشرة الدماغ، ومفصول عن الفصين الجداري والصدغي بخط عشوائي، وهو مركز للإبصار والوظائف الحسية المتصلة به؛ إذ يحتوي على قشرة الإبصار the visual cortex التي تعالج المعلومات البصرية^(٤).

والفصوص الأربعة موضحة في الشكل (١٠):



الشكل (١٠) مناطق الدماغ المسؤولة عن اللغة. المصدر:

Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language, P. 258.

مراكز اللغة في الدماغ:

تتوزع مراكز اللغة في النصف الأيسر من الدماغ، لكنها لا تنحصر في مكان واحد منه، وترتبط ببعضها بواسطة خلايا عصبية، ومراكز اللغة الرئيسية المعروفة حتى الآن هي:

١- منطقة بروكا Broca's Area:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى الطبيب الفرنسي **بول بروكا Paul Broca** (١٨٢٤-١٨٨٠م) الذي اكتشفها عام ١٨٦١م؛ نتيجة تشريحه دماغ رجل مصاب بشلل في نصفه الأيمن منعه من الحركة والكلام، أي إنه كان مصاباً بحبسة في الكلام أو الأفازيا الحركية motor aphasia^(١)، التي تقع في منطقة الحركة motor area؛ لتحكمها في حركات اللسان والشفيتين والحنك والحبال الصوتية وغيرها من أجزاء الفم الذي هو مصدر الكلام^(٢)، بل سماها بعض الباحثين مركز الكلام^(٣).

وهذه المنطقة موجودة في مقدمة النصف الأيسر من الدماغ، أي في الفص الأمامي الجبهي الذي يتحكم في عضلات الوجه والفك واللسان والحنجرة، ومسؤول عن وظائف لغوية تحليلية مهمة خاصة استعمال المورفيمات الصرفية

كعلامات الجمع وتصريف الأفعال وانتقاء الكلمات الوظيفية وبناء الجمل^(١). وقد تبين من دراسات حديثة نسبياً أن هذه المنطقة مسؤولة عن الفهم أيضاً^(٢).

٢- منطقة فيرنكي Wernike's Area:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مكتشفها طبيب الأعصاب الألماني كارل فيرنكي Carl Wernike عام ١٨٧٤م، وتسمى منطقة الحس sensory area، وتقع بالقرب من منطقة السمع في الفص الصدغي من القشرة الدماغية، ويربطها بمنطقة بروكا حزمة من الألياف العصبية المسماة بحزمة الألياف المقوسة arcuate fasciculus^(٣). ومهمة هذه المنطقة استقبال المدخلات السمعية وفهم معاني المفردات^(٤).

٣- التلفية الزاوية Angular Gyrus:

وتقع خلف منطقة فيرنكي المسؤولة عن تحويل المثير البصري إلى شكل سمعي والعكس. ووظيفة هذا المركز الربط بين شكل الكلمة المنطوقة وصورتها الذهنية المدركة، وكذلك تسمية الأشياء واستيعاب الشكل المكتوب للغة^(٥)، وكل ما يحتاج إلى الربط بين المثيرات البصرية ومناطق الكلام^(٦). والشكل (١١) يوضح مناطق اللغة في الدماغ:



الشكل (١١) منظر جانبي للدماغ. المصدر: محمد منير المعراوي، أبجديات العقل البشري، ص ٦٣.

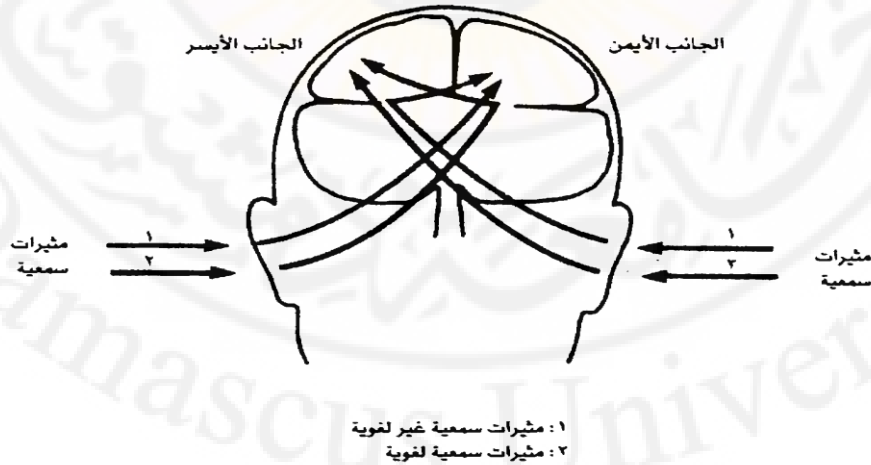
التحكم الجانبي للدماغ Lateralization of Function :

المعروف عند علماء الأعصاب أن تحكم نصفي الدماغ بوظائف جسم الإنسان يتم بأسلوب متعاكس contralateral؛ فالنصف الأيسر من الدماغ

يتحكم في حركة الجانب الأيمن من الجسم فيرسل إليها الأوامر بعد أن يستقبل منها الإشارات الحسية، والنصف الأيمن يتحكم في حركة الجانب الأيسر من الجسم فيرسل إليها الأوامر بعد أن يستقبل منها الإشارات الحسية^(١)، وهذا ما يعرف بالتخصيص الجانبي للدماغ أو التحكم النصفى لوظائف الدماغ. غير أن الإنسان العادي يشعر بأن لديه دماغاً واحداً متكامل الوظائف والأنشطة، ولا يشعر بالتقسيم داخل هذا الدماغ ولا أن كل قسم له وظائف تختلف عن وظائف القسم الآخر^(٢).

وكثير من الأشخاص يعتمدون على جانب واحد من جوانب الجسم أكثر من اعتمادهم على الجانب الآخر. فمن الناس من يستخدم اليد اليمنى دون اليسرى فيسمى الأيمن right handed، أو العكس فيسمى الأيسر أو الأعسر left handed، ومنهم من يعتمد على الأذن اليمنى دون اليسرى أو العكس، ومنهم من يعتمد على العين اليمنى دون اليسرى أو العكس^(٣).

إن هذا التقسيم في أعضاء الجسم الظاهرة مرتبط بتقسيم وظائف اللغة في نصفي القشرة الدماغية. فقد أظهرت نتائج الدراسات التي أجريت على المصابين بالحبسة (الكلامية) aphasia أن معظم الذين يستخدمون اليد اليمنى (٩٥٪) ونسبة عالية جداً من الذين يستخدمون اليد اليسرى (٦١٪)، تتركز لغتهم في الجهة اليسرى من الدماغ. وأظهرت هذه النتائج أيضاً أن مراكز معينة في الجهة اليمنى من الدماغ مسؤولة عن بعض الوظائف غير اللفظية كالتعرف على الأصوات الصادرة من الآلات والأجهزة، وأصوات البيئة الطبيعية؛ كالرياح وحفيف الأشجار وخرير المياه، وأصوات الآلات الموسيقية المتناغمة^(٤)، كما هو موضح في الشكل (١٢).



الشكل (١٢) صورة توضح مسار المثيرات السمعية اللغوية وغير اللغوية في جانبي الدماغ. المصدر:

Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language, P. 159.

وقد حاول العلماء تحديد الوظائف ذات العلاقة باللغة في كل من جانبي الدماغ، أوجزها في الفقرتين التاليتين.

١- وظائف الجانب الأيسر:

يتميز النصف الأيسر من الدماغ البشري بسيطرته على معظم أنشطة الإنسان؛ ففيه مركز اللغة والتفكير التحليلي المنطقي، ويتحكم في حركة اليد اليمنى التي يعتمد عليها الغالبية العظمى من الناس في أنشطتهم، إضافة إلى هيمنته على معظم أعضاء الجانب الأيمن من الجسم، حتى لقب بالجهة المسيطرة the dominant hemisphere^(١).

غير أن أعصاب السمع والإبصار ليست خاضعة لهذا التخصيص الجانبي بشكل دقيق؛ فأعصاب العين اليسرى والأذن اليسرى ليست مربوطة ربطاً تاماً بنصف الدماغ الأيمن، وكذلك الأمر بالنسبة لأعصاب العين اليمنى والأذن اليمنى التي لا ترتبط ارتباطاً تاماً بالنصف الأيسر من الدماغ. وقد ذكر العلماء أن من وظائف النصف الأيسر من الدماغ ما يلي^(٢):

- أ- المعالجة اللغوية language processing.
- ب- المهارات اللغوية الأربع، وهي: الاستماع والكلام والقراءة والكتابة.
- ج- التحليل التحليلي analytic reasoning.
- د- التنظيم الزمني temporal ordering.
- هـ- المعالجة الحسابية arithmetic processing.

٢- وظائف الجانب الأيمن:

يحتوي النصف الأيمن على مراكز التفكير غير المنطقي وغير التحليلي، وجوانب من اللغة^(٣)، إضافة إلى سيطرته على الجانب الأيسر من الجسم، ويختلف عن النصف الأيسر في أساليب معالجة المعلومات الواردة إليه، وتخزينها واستخدامها. وقد حدد العلماء بعض وظائفه على النحو الآتي^(٤):

- أ- إدراك الأصوات غير اللغوية؛ كأصوات الحيوانات والرعْد والرياح والعواصف والأشجار، وأصوات الإنسان الغنائية غير اللغوية.
- ب- مهارات التقدير الفراغي البصري؛ كإدراك المساحة، ومعرفة الحجم والطول.
- ج- التحليل الكلي الشامل للمعاني غير التنعيمية المباشرة من خلال التنعيم، وذلك بمشاركة النصف الأيسر.
- د- إدراك اللمس من حيث النعومة والخشونة.

نمو جانبي الدماغ:

ثمة سؤال مطروح يرد بعد الحديث عن جانبي الدماغ ووظائفهما اللغوية، وهو: هل يولد الإنسان وقد وزعت وظائف اللغة في مراكزها في الدماغ، أم أن هذه الوظائف تبدأ في التوزع بعد ولادته وتنمو في مراحل طفولته؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال بأن **جانبي الدماغ مختلفان من النواحي التشريحية والفسولوجية عند الأجنة والأطفال والبالغين على حد سواء**. فالذين يستخدمون اليد اليمنى، ويقع مركز اللغة لديهم في الجهة اليسرى من الدماغ، يكون شق سلفيوس في الجانب الأيسر (هذا الشق يقع في مناطق اللغة) لديهم أطول وأقرب إلى الوضع الأفقي من شق سلفيوس الواقع في الجانب الأيمن^(١). كما أن امتداد منطقة فرنيكي، المعروف بالسطح الصدغي *planum temporale*، أكثر تشابكاً وتعقيداً في الجانب الأيسر من الدماغ من امتداد المنطقة المقابلة لها في الجانب الأيمن لدى معظم البالغين^(٢). وقد لوحظ من خلال دراسة فسيولوجية إلكترونية، أجريت على **أطفال صغار** كانت أعمارهم ما بين الأسبوع الأول إلى الشهر العاشر، أن الجانب الأيسر من الدماغ لدى كل منهم أكثر استجابة للكلام من الجانب الأيمن، في حين لوحظ أن الجانب الأيمن أكثر استجابة للمثيرات غير اللغوية من الجانب الأيسر^(٣).

وعلى الرغم من تخصص كل جانب من جانبي الدماغ بوظائف معينة منذ الولادة، فإن أجزاء معينة في كلا الجانبين قد تزداد نمواً خلال مرحلة الطفولة، وربما لا تتغير تغيراً ملحوظاً عند بعض الأطفال. ويعتقد أن ليونة الأعصاب يتزامن وجودها مع التخصص الجانبي للدماغ بالرغم من استقلالها عنه^(٤). وعندما يقارن دماغ الطفل بدماغ البالغ يلاحظ نماذج من الاختلافات بينهما. **فدماغ الطفل يتميز بليونة الأعصاب، مما يدل على ليونة وظائفها وعدم ثباتها**. ومن هذه الاختلافات أن الحبسة الكلامية تحدث نتيجة الإصابة في الجانب الأيمن بدلاً من الجانب الأيسر من الدماغ بشكل ملحوظ لدى الأطفال، بنسبة تصل أحياناً إلى ٧٠٪، وبخاصة من هم دون السادسة من العمر، أما الكبار فلا تتعدى نسبة إصابتهم في النصف الأيمن ٥٪^(٥).

وسواء حدثت الحبسة الكلامية نتيجة الإصابة في الجانب الأيمن أو في الجانب الأيسر من الدماغ؛ فإن الأطفال أسرع شفاء من هذا المرض من الكبار. فقد أثبتت دراسة أجريت على ثلاثمائة من الأطفال المصابين بالحبسة الكلامية قبل سن الثامنة، أنهم عادوا إلى طبيعتهم في مدد تتراوح بين شهر واحد وستين^(٢). وفي مقابل ذلك أجريت دراسة أخرى على عدد من البالغين المصابين بالسكتة الدماغية stroke، فلم يعد منهم إلى طبيعته في الكلام سوى ٥٣٪ فقط^(٣).

ولا شك في أن الفرق بين حالات الصغار وحالات الكبار في الدراستين السابقتين، كانت نتيجة ليونة أعصاب الدماغ عند الأطفال وتصلبها عند الكبار؛ فكلما صغر سن المريض كان أقرب إلى الشفاء الكامل من هذا المرض والعودة إلى استعمال اللغة بشكل طبيعي. في مقابل هذا، فإنه كلما تقدم السن بالمصاب بهذه الحبسة قلت نسبة الشفاء منها، وازدادت نسبة الخلل في كلامه بعد إجراء العملية الجراحية. لكن هذه الظاهرة لا تقتصر على الإصابة بالحبسة الكلامية فحسب، فالأطفال أسرع من الكبار في الشفاء من الإصابات الدماغية، اللغوية منها وغير اللغوية، وأرجى من الكبار في العودة إلى الحالة الطبيعية التي كانوا عليها قبل الإصابة. بل إن هذه القاعدة تنطبق على معظم الأمراض التي تصيب الإنسان، سواء أكانت في الدماغ أم في غيره^(١).

التعاون بين جانبي الدماغ RH-LH Cooperation:

لقد اتضح مما تقدم أن مركز اللغة يقع في الجانب الأيسر من الدماغ، وأن هذا الجانب هو المسيطر الرئيس على وظائف اللغة. ويرد في هذا المقام سؤال مهم هو: ما ذا بقي للجانب الأيمن من الدماغ من هذه الوظائف اللغوية؟ وللإجابة عن هذا السؤال، أورد نتائج بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال على مصابين بأمراض أو مشكلات لغوية.

فقد أجريت دراسات علمية على الأشخاص الذين فصل الجسم الصلب عن أدمغتهم فصلاً تاماً بعمليات جراحية، ف لوحظ قدرة الجانب الأيمن من الدماغ لدى كل منهم على استقبال المثيرات الكلامية وتذكرها على الرغم من عدم القدرة على نطقها. ولوحظ أنه عندما عُصبت عينا واحد من هؤلاء المرضى، وأحضر له شيء لمسه بيده اليمنى، كان قادراً في تلك اللحظة على التعرف عليه وتسميته تسمية صحيحة؛ لأن الإحساس عن طريق اليد اليمنى نقل المعلومات إلى الجانب الأيسر الذي يتحكم في اليد اليمنى الذي هو مركز الكلام أيضاً. فلو كان اللمس باليد اليسرى لم يستطع تسمية الأشياء الملموسة؛ لأن المعلومات هذه تنتقل إلى الجانب الأيمن، الذي يتحكم في هذه اليد، وهذا الجانب في الوقت نفسه ليس مسؤولاً عن إصدار الكلام. وعندما فتحت عينا المريض ورأى النور استطاع أن يشير إلى الأشياء التي لمسها بيده اليسرى، مما يدل على أن الجانب الأيمن استقبلها استقبلاً جيداً فتذكرها المريض لكنه لم يكن قادراً على تسميتها لفظياً.

وقد لوحظ أيضاً، من خلال متابعة هؤلاء المرضى، أن اثنين ممن أجريت لهم عمليتا فصل الجسم الصلب من الدماغ، وواحداً ممن استؤصل منه الجانب الأيسر من الدماغ، أصبح لديهم نقص في القدرة اللفظية، وضعف في الذاكرة قصيرة الأمد short-term memory، وتخلّف في القدرة النحوية. لكن بقيت عند هؤلاء المفردات البصرية السمعية، وهي الكلمات المعجمية التي يمكن التعرف عليها علمياً، هيئة أنماط مرئية مسموعة^(١).

وأجريت دراسات في استعمال المفردات وتذكر معانيها على مجموعة من الأشخاص المصابين بعاهات في الدماغ؛ بعضهم مصاب بعاهة في الجانب الأيمن، وبعضهم مصاب بعاهة مشابهة في الجانب الأيسر، ثم قورن أداؤهم بأداء أشخاص أسوياء. وأظهرت نتائج هذه الدراسات أن الجانب الأيمن يعالج معاني الكلمات بسرعة لكنها معالجة غير دقيقة، في حين يعالج الجانب الأيسر الكلمات صوتياً وبشكل بطيء لكنه مرتب ودقيق. فوظيفة الجانب الأيمن - في هذه الحالة - هو تخمين المعنى ثم إرساله إلى الجانب الأيسر للتأكد من صحته، وقد يقوم النصف الأيمن بجمع المعلومات اللازمة عن الشيء الوارد إليه، ثم يرسلها إلى النصف الأيسر لتحليلها؛ أي إن كلا منهما له وظائفه الخاصة به لكنها تكمل وظائف الآخر^(١)، وهذا ما يعرف في علم اللغة العصبي بتعاون

جاني الدماغ RH-LH Cooperation.

ويرى بعض الأطباء وعلماء التشريح أن المناطق التي تتحكم في أعضاء الصوت تقع في مكان وسط بين جانبي الدماغ، وأن الجانبين يسيطران على إخراج الصوت، لكنهم يرون أن الكلام نفسه يسيطر عليه الجانب الأيسر لمن يستخدم يده اليمنى والنصف الأيمن لمن يستخدم يده اليسرى. وهذا التفسير الأخير يعني بوضوح تام أن الكلام يتحكم فيه الجانب الأيسر عند الغالبية العظمى من الناس؛ لأن هؤلاء يستخدمون أيديهم اليسرى^(٢). وهذا التفسير شبيه بتفسير علماء آخرين يرون أن معظم وظائف اللغة تتركز في الجانب الدماغى المسيطر، وهو الجانب الأيسر في الغالب.

وأياً ما كان اختلاف العلماء في تفسير بعض الظواهر اللغوية فإنهم يكادون يجمعون على أن الجانب الأيسر من الدماغ هو المقر الرئيس لمراكز اللغة ووظائفها، وبخاصة الوظائف التحليلية. أما الجانب الأيمن فإن له وظائف لغوية تتمثل في الفهم العام وحفظ بعض المفردات، إضافة إلى أن الجانب الأيمن قد يزداد نشاطه اللغوي إذا تعطل الجانب الأيسر، فينوب عنه في بعض مهماته. وهذا ما يعرف بالتمثيل الثنائي للغة، أي اشتراك الجانبين في بعض الوظائف اللغوية لدى المصابين بتلف في أحد جانبي الدماغ، ويستدل بعض الباحثين

بذلك على أن الجانب الأيمن ليس له وظائف لغوية واضحة، في حين يرى باحثون آخرون رأياً غير هذا الرأي^(١).

ومما ينبغي التنبيه إليه في نهاية هذا المبحث أن الأذنين على وجه العموم يختلفان في استقبال الأصوات من حيث ارتباط الصوت بوظيفة معينة؛ فإذا كان الصوت صوتاً لغوياً؛ كالكلام والقراءة، فالأذن اليمنى هي التي تستقبله ثم تحوله إلى الجانب الأيسر من الدماغ الذي هو مركز اللغة. أما الأصوات غير اللغوية؛ كالضوضاء وأصوات الحيوانات والآلات، فتستقبله الأذن اليسرى لتحوله إلى الجانب الأيمن من الدماغ^(٢). وبناء على ذلك فإن وضع الإنسان سماعة الهاتف في أذنه اليمنى أسرع في وصول الصوت إلى مركز اللغة من وضعها في أذنه اليسرى، والله أعلم.

نضج الدماغ:

يرتبط تطور اللغة ارتباطاً وثيقاً بنضج الدماغ وتخصصه، ما إذا كانت هذه العلاقة تستند إلى نضج بني معينة أو على تطوير قدرات معرفية معينة غير معروف. جانبان مهمان لنضج الدماغ هما الوزن والتنظيم. يتغير الوزن الإجمالي للدماغ بسرعة أكبر خلال العامين الأولين من الحياة، عندما يتضاعف الوزن الأصلي للدماغ عند الولادة ثلاث مرات.

بالإضافة إلى ذلك، تحدث تغيرات كيميائية وتصبح المسارات الداخلية منظمة، وترتبط أجزاء مختلفة من الدماغ بحلول سن ١٢، يصل الدماغ عادة إلى وزنه الكامل. لا يتغير عدد الخلايا العصبية، لكنها تزداد في الحجم مع نمو التشعبات والمحاور لتشكيل شبكة مترابطة كثيفة. يمكن أن يؤدي المرض أو سوء التغذية أو الحرمان الحسي إلى كثافة أقل وتقليل الأداء الوظيفي. معظم الزيادة في الأداء هي نتيجة عملية تكوّن النخاع أو عملية تغليف الجهاز العصبي. بشكل عام، مناطق الميالين هي الأكثر تطوراً وتلك التي لديها أسرع انتقال للمعلومات العصبية. يتم التحكم في تكوّن النخاع جزئياً عن طريق الهرمونات المرتبطة بالجنس، وخاصة هرمون الاستروجين. قد تكون هذه الحقيقة مسؤولة عن التطور العصبي المبكر السريع للفتيات.

بشكل عام، تخضع المسالك الحسية والحركية لعملية التكوّن النخاعي قبل المناطق ذات الأداء العالي، مثل تلك الخاصة بمعالجة اللغة

العمر	نقاط بارزة في اللغة	وزن الدماغ (بالغرام)
الولادة	بكاء	٣٣٥
ثلاثة أشهر	مناغاة وبكاء	٥١٦
ستة أشهر	بأبأة	٦٦٠
تسعة أشهر	لغة رطن	٧٥٠
١٢ شهر	كلمة واحدة	٩٢٥
١٨ شهر	تسمية مبكرة	١٠٢٤
٢٤ شهر	جملة من كلمتين	١٠٦٤

مثال على علاقة الدماغ باللغة

